المنهج الإحصائي الاستكشافي في المعاجم العربية
(موسوعة المستكشف نموذجاً)

الدكتور إدريس ولد عتيه

جامعة قطر

تسعى هذه الدراسة إلى إماطة اللثام عن الطريقة المنهجية التي اتبعتها في تأليفي لموسوعة "المستكشف" المعجمية، واعتمدت فيها _أساساً_ المقاربة الإحصائية؛ لِما أراه ضرورة ملحة تُوَفّرُها هذه المقاربة لكشف طاقات الفصحى وقدراتها الكامنة، ودون الخوض في تفاصيلَ نظريةٍ مطولة، تمكن الإشارة إلى أن المنهج الإحصائي هو منهج علمي، تُبنى نتائجه على معطيات واستقراءات محددة نتيجة اعتماده على لغة الأرقام، ذلك أنه: (إذا كانت العلوم الصحيحة كالفيزياء والكيمياء مثلاً تعتمد على التجربة المخبرية لوصف الظواهر الطبيعية، فإن الإحصاء يعد مختبر العلوم الإنسانية؛ إذ لم يعد يلقى القول لهذه العلوم على عواهنه إلقاء، إذ لابد من إعطاء الدليل والبرهان على كل ما يقال، وهذا لن يتأتى إلا باتخاذ الإحصاء أداة وسبيلاً، بل إن هذه العلوم نفسها لا تستطيع الاستغناء عن الإحصاء).[1]

ولئن كان الهاجس الذي حركني في تأليفي موسوعة "المستكشف" هو محاولة استكشاف وتنقير وتنقيب _ إضافةً إلى أمور أخرى في المعاجم

---

١. الإحصاء التطبيقي الحديث والاحتمال، للدكتور حلمي فضل كتانة، جامعة قطر، قسم الرياضيات.

الـمُتَضَمَّنَةِ فـي هـذه الموسـوعة_ عـن "المكنـوز الوصـفي التفصـيلي للحقـول الدلالية في اللغة العربية" الذي تُخفي معظمه الطريقة الترتيبية الهجائية، فإن إسهام بعض الباحثين في إحصاء الجذور التي تضمنتها معاجم عربية من شأنه أن يسهم في هذا الجهد الإحصائي المطلوب، وإن كنت أرى أن الإحصاء الدلالي أولى من الإحصاء الجذري الصرفي، لما للإحصاء الدلالي من قيمة تَقْوّي قِيمَةَ الإحصاء الجذري، إذ لا يقدم هذا الأخير إضافة تصورية وصفية، بقدر ما يقدم توصيفاً صرفياً بحتاً (فأمّا عن ميدان اللغة فقد تحقق له الحلم الذي طالما تمناه دارسوها بفضل صدور ثلاثة كتب عن: إحصاءات جذور معجم (الصحاح)، وجذور معجم (لسان العرب) باستخدام الكمبيوتر، وبذلك أصبح أمام دارسي اللغة _لأول مرة_ معلومات وافية ودقيقة، عن هذا المجال المترامي الأطراف المتراحب الأبعاد، ميدان الإحصاء اللغوي).[1]

كما أن المعطياتِ الإحصائيةَ تجعل الباحثَ واثقاً من دقة النتائج ومن إحكام الربط بين المادة المحصاة والاستخلاص الأمثل للنتائج المترتبة عنها في أكثرَ من بُعدٍ (يشعر الباحثون في التربية والعلوم الإنسانية أنهم بحاجة إلى من يساعدهم في اختيار الطرق الإحصائية التي تناسب البيانات البحثية، وتجيب عن أسئلة بحوثهم أو فحص فرضيتها. كما أنهم يشعرون في خطوة

---

١. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر)، للدكتورين: علي حلمي موسى، وعبدالصبور شاهين، ص٦، مطبوعات جامعة الكويت.

لاحقة بالحاجة إلى من يساعدهم في وصف وتفسير نواتج التحليلات الإحصائية سواء تم إجراؤها يدوياً أو آلياً).[1]

وبعد إنعامي النظر في الطريقة التي أُلِّفَ بها كثير من معاجم العربية، وما استبان لي من طرائق الائتلاف والاختلاف بين كيفيات تأليفها، أكاد أزعُمُ أن كثيراً من هذه الطرائق التأليفية المعجمية _طريفِها والتالدِ_ إنما اعتمد طريقة اعتباطية في الترتيب وهو الترتيب الهجائي، وإن كان بعض هذه الطرائق التأليفية المعجمية قد اتبع طريقة التصنيف الموضوعي، مما كشف بعضاً من طاقات الفصحى وإمكاناتها التعبيرية الواصفة، ولعل تأريخ نشأة المعجم العربي يصور المراحل التي مرت بها الصناعة المعجمية قبل أن تَنضَجَ وتَستَوِيَ على سُوقِها؛ ولسنا هنا في وارد تقليل شأن بعض المعاجم العربية القديمة أو الحديثة التي عُنيت بجمع اللغة وشرحها وحفظها وهي مهمة أساسية اضطلعت بها هذه المعاجم، بيد أن ذلك لا يمنعنا من القول إن طريقة الجمع المعجمي نفسَها هي طريقة تراكمية اعتباطية لا تجعل القارئ المتوسط يحصل على بغيته اللغوية بيسر؛ لذا كان معظم معاجم العربية المتبعة نظامَ الترتيب الهجائي مخازنَ لغويةً زاخرة، تجعل هذا القارئ المتوسط يَعُومُها دون أن يجيد السباحة في بحرها المتلاطم.

بل إن الأدهى أن كثيراً من طاقات العربية التعبيرية وقدراتها الوصفية بقيت مطمورةً في هذه الإضبارات والمخازن اللغوية (في بعض المعاجم على الأقل ولا يعني التعبير تقليلاً من قيمتها) دون أن تُقَدَّمَ إلى القارئ تقديماً تصنيفياً _حسب حاجته واختصاصه_، مما أشاع وهماً منتشراً عن قصور العربية في

---

١. الإحصاء للباحث في التربية والعلوم الإنسانية، ص٥، للدكتورين: أحمد سليمان عودة، وخليل يوسف الخليلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

بعض المناحي الوصفية التفصيلية؛ لذا استحضرت بعض هذه المآخذ والهَنات وصُغت سؤالاً مركزياً كان محركي في تقسيم موسوعة "المستكشف" إلى ستة معاجم فرعية، ويعد معجم "الحقول الدلالية" أكبرَها، ويتضمن هذا السؤالُ المركزي إشكاليةً واضحة: ما هي الحقول الدلالية الغالبة على المعجم العربي؟ ولأن هذا السؤال المركزي لا بد أن يكون أكثر تحديداً في مصدر معجمي كبير ومتواضع على الثقة به وعلى شموله، فقد جعلت (القاموس المحيط للفيروز آبادي) مادة لمحاولة الإجابة عن ذلك السؤال المركزي، لتوصلني الدراسة الاستقرائية لمتن هذا المعجم إلى تسعة وخمسين وأربعمئة حقلٍ دلالي هي الغالبة على هذا المعجم، وقبل استعراض نماذج من موسوعة المستكشف توضح المنهج التصنيفي والإحصائي الجديد الذي اتبعته في معجم "الحقول الدلالية" وبقية معاجم هذه الموسوعة الأخرى، يجدر بنا من الناحية المنهجية التساؤل عن مفهوم الحقل الدلالي نفسه عند الأوروبيين وتجلياته في رسائلَ وكتبٍ لغوية عربية: (ففي المصادر باللغة الإنجليزية، يعرف الحقل الدلالي أنه عبارة عن اصطلاح فني يستخدم في علم اللسانيات لوصف مجموعة من الكلمات المجمعة حسب المعنى بطريقة معينة كما يستخدم هذا الاصطلاح في جملة من العلوم الأخرى مثل الإنتربولوجيا وعلم السيمياء الحاسوبية)[1].

---

١. انظر بحثنا الموسوم "ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي"، للدكتور إدريس ولد عتيه – المؤتمر الثاني للغة العربية بتاريخ ٧-١٠ مايو ٢٠١٣ في دبي، كتاب المؤتمر، المجلد الثاني، ص٤٤٨، ٤٤٩، والمرجع الذي عاد إليه:

(Howard Jackson, Etienne Zé Amvela, Words, Meaning, and Vocabulary, Continuum, 2000, p14)

ولئن كان للمدرسة اللسانية الإنجليزية السكسونية تعريفها السابق للحقل الدلالي المعتمد على مُجَمَّعٍ من الكلمات المربوطِ بعضُها ببعض، فإن المدرسة الفرنسية اللسانية تربط الحقل الدلالي بخيط ناظم هو الفكرة إذ تُعَرّفُ موسوعة "لاروس" الفرنسية الحقول الدلالية: (أنها "مجموعات كلمات تتعلق بفكرة واحدة". ويمكن أن نأخذ مثالاً لذلك الحقل المعجمي لدلالة "العطلة" _ vacances_ لنجده يتضمن الكلمات التالية مثال: الرمال والشمس والشاطئ والجبل والهواء الطلق...الخ).[1]

ولا يبتعد "برنتون" في تعريفه للحقل الدلالي عن التعريفين السابقين، وإن كان يضفي عليه أبعاداً لسانية تتجسّد في المجال الدلالي أو في الاشتراك الترادفي[2].

ويمكن أن نستخلص من التعريفات المختلفة للحقل الدلالي أنه "مجال دلالي معين" يتقاطع فيه أكثرُ من عنصر لغوي وثقافي ليمثل مجمل الأنظومة الدلالية.[3]

---

١. انظر البحث السابق نفسه، الصفحتين السابقتين نفسيهما.

٢. يعرف برنتون "الحقل الدلالي" بأنه "مجال دلالي" ويرتبط المفهوم اللغوي أو اللساني بمفهوم "تعدد الدلالات/الأسماء: hyponymy" (أو ما يشبه الاشتراك في العربية)، انظر البحث السابق نفسه.

٣. ورد في بحثنا المحال إليه سابقاً مجموعة من المفاهيم من المهم إيرادها ومنها: (يرتبط بمفهوم hyponymy، وإن كان تعريفه أقل دقة، بمفهوم الحقل أو المجال الدلالي.

ويعني الحقل الدلالي جملة من الحقائق يرمز إليها بمجموعة من الكلمات المترابطة/ المتقاربة. وتشترك الكلمات داخل الحقل الدلالي الواحد في خاصية/ ميزة دلالية مشتركة.

(Brinton, Laurel J. (2000). The structure of modern English: a linguistic introduction. Illustrated edition. John Benjamins Publishing Company (accessed: Sunday May 2, 2010), p.112)

والكلمات المنتمية إلى حقل دلالي ما ليست مترادفات، ولكنها تتحدث عن وصف الظاهرة نفسها. ويرتبط ويخضع معنى الكلمة بعلاقتها بغيرها من الكلمات في المجال التصوري نفسه، وتختلف أنواع الحقول الدلالية من ثقافة لأخرى.

(Jaakko Hintikka, Aspects of Metaphor, Springer, 1994, p41)

وقد أطلق عليها بعضهم اسم المعاني المعجمية Lexical meanings. والآخر يهتم ببيان معاني الجمل والعبارات، أو العلاقات بين الوحدات اللغوية مثل المورفيمات والكلمات والجمل، وذلك

ولقد مر مسار التأليف المعجمي العربي بقناطرَ متعددةٍ وكان في بدايته أقربَ إلى شكل حقول دلالية معينة في رسائلَ لغويةٍ (وكانت بداية معاجم المعاني مما ألف في الرسائل التي جمع فيها الرواة الألفاظ التي تمحض بعضها لموضوع واحد مثل اللبن والمطر والشجر لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥ هـ والنبات والشجر وخلق الإنسان للأصمعي ت٢١٦هـ، والخيل والغنم والوحوش والسباع والطير لأبي عبيد ت ٢٢٤هـ، وفي اللباس والطعام والمعدنيات والأنواء والسحاب والبئر)[١].

وقد كانت هذه الرسائل اللغوية بدايةً تلتها معاجمُ معانٍ وموضوعات منها: ("الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ت٢٤٤هـ، والنبات لأبي حنيفة الدينوري ت٢٨٢هـ، والألفاظ الكتابية للهمذاني ت ٣٢٧هـ، وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ت٤٢٩ هـ، والمخصص لابن سيده ت ٤٥٨هـ، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي ت نحو ٤٧٠ هـ، ونظام الغريب في اللغة للربعي ت٤٨٠هـ، وأساس البلاغة للزمخشري ٥٣٨ هـ).[٢]

حين تقوم العناصر اللغوية بدور الرموز لعلاقات بين عناصر لغوية أخرى. وقد سماها بعضهم المعاني النحوية (grammatical (or syntactic) meanings

١. انظر بحثنا: "ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي".

٢. فَصَّلت مسار حركة التأليف المعجمي العربي القديم في بحثي "ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي"، للدكتور إدريس ولد عتيه – المؤتمر الثاني للغة العربية بتاريخ ٧-١٠ مايو ٢٠١٣ في دبي – كتاب المؤتمر – المجلد الثاني – الصفحة ٤٤٨، ٤٤٩، إذ أوردت بعض تسلسل تأليف هذه الرسائل والكتب المعجمية (ولم تقف هذه الكتابات بل استمرت مريرتها لأهميتها للباحث والمتعلم، فقد ألف الزجاج (ت ٣١٠ أو ٣١١ هـ) كتاباً عن خلق الإنسان، وابن دريد (ت ٣٢١ هـ) عن السرج واللجام، والمطر والسحاب، وابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) عن الشجر، وغيرهم كثير، ممن ألف في الموضوع نفسه مثل أحمد

لقد أسلفنا أن بعثرة المادة المعجمية _نتيجة للترتيب الهجائي الاعتباطي_ أذهب كثيراً من الإفادة من الثراء الدلالي للغة العربية وفرقه أيادي سبإ مما جعل المادةَ المعجمية مُراكمةً رُكاماً يُذهل القارئ العادي، ويُبعثر كثيراً من الطاقات اللغوية، ويجعل البحث عن جوانبَ معينة من "حقل دلالي" أشبهَ بالتنقيب عن قشة وسط كومة من النُّفايات، ولقد كان لهذا السؤال المركزي مَساغُه ومصاغه الآتي:

ما هي القدرات الوصفية التجزيئية التي تمتلكها الفصحى لوصف محيطها والوجود وحقائق الكون والإنسان والحياة؟

وما الزاد الدلالي الذي يمتلكه مستعمل العربية المتوسط؟ وهل حقاً معظم مستعمليها لا يعرفون إلا أُمَّ الحقل الدلالي وبعض مساقاته الأساسية، دون أن يدركوا جزئيات الحقل وتفاصيلَه الدقيقة (ماذا نعرف مثلاً عن حقيقة النمل وأنواعه وحركاته ومساكنه؟) وماذا نعرف مثلاً عن حقيقة الماء وجريانه وأنواعه وكُدْرته وصفائه إلى آخره؟ (وما هي الآثار المترتبة على انتقاص هذه القدرة الوصفية اللغوية عند المستعملين المتخصصين بَلْهَ المستعملين المتوسطين؟).

كل هذه الأسئلة تَلْقَى مسوغاتِها الموضوعيةَ في ظلال تطور الدراسات الدلالية[1]، وما يمكن أن نفيد منه تطويراً وتجديداً لمعاجم العربية في ضوء النظريات الدلالية الحديثة وقيام علم الدلالة على ساقيه (لم يعد علم الدلالة

بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، ومن المتأخرين الصاغاني(ت ٦٥٠ هـ)، وشرف الدين علي بن يوسف بن حيدرة الطبيب (ت ٦٦٧ هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ وغيرهم).

١. على الرغم أنه لا مندوحة للباحثين عن الاطلاع على أحدث الدراسات اللسانية والدلالية العربية والأجنبية، بيد أنه يجب توخي الحذر في إسقاط كثير من المفاهيم اللسانية والدلالية على دراسة لغتنا، يقول الدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري وهو يتحدث عن الحقول الدلالية وإشكال تعريب الدلالة نفسها: (عملية الترجمة لها أبعاد دلالية أكثر إشكالاً من الأبعاد السابقة، في مرحلة أولى، لا بدّ من معاينة الحقول الدلالية في كل من اللغتين، وإقامة ما يمكن إقامته من مناسبات، وفرز ما ليس له مقابل في اللغة الهدف ويحتاج إلى الوضع والتوليد. (اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، للدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري، ص٤٠٠، دار توبقال للنشر – الدار البيضاء/المغرب، منشورات عويدات- بيروت/ باريس).

الآن في حاجة إلى من يدافع عن وجوده، أو يبرر الاهتمام به، فقد تخطّى هذه المرحلة منذ نصف قرن أو يزيد، وصار الآن يلقى من الاهتمام والدراسة في كل أنحاء العالم ما يلقاه سائر فروع علم اللغة.[1] إن ذلك ما دعاني إلى أن أستثمر معطياتٍ إحصائيةً محددة للاستقراء والقياس والاستنتاج والاستنباط متمنياً في القريب العاجل أن تكون هذه الموسوعة أساساً لمعجم تفاعلي إلكتروني، لما توفره تِقانةُ الحاسوب من إمكانات لا محدودة للمعطيات اللغوية المصنفة: (لقد استطاعت التقنية الحديثة أن تقدم للعلماء والباحثين هذا الحاسب الآلي: (الكمبيوتر) ليقوم عنهم بما كان يستنفد جهودهم من محاولات العد، والحصر، والتصنيف، وهي العمليات الضرورية لبلوغ أية نتيجة علمية أو عملية، من أجل حل المشكلات التي تواجه العقل الإنساني، عن طريق التقدم)[2].

وكما أسلفت كانت حصيلة هذه المنهجية الإحصائية اجتهادي في مفهوم جديد للحقل الدلالي أكثرَ حصراً وتمحضاً من المفهوم الأوروبي للحقل الدلالي، ومن تصور ينطلق من بعض التعريفات لمعاجم المعاني: (المعاجم الموضوعية أو المعنوية: وهي التي ترتب الألفاظ اللغوية حسب معانيها أو موضوعاتها، ففي مادة "لون: نجد فيها كل ما تضمه اللغة من أسماء الألوان بدرجاتها المختلفة، ومن المعاجم العربية الموضوعية القديمة "المخصص" لابن سيدة الأندلسي؛ فهو يرتب الألفاظ التي جمعها لا بحسب لفظها بل بحسب معناها).[3]

فرؤيتنا للحقل الدلالي لا تُؤسَرُ بتعريفات جاهزة بل تستأنس بما تراه ملائماً للحقائق الميدانية التي نَزعُمُ أننا نَكتَنِهُ ما تيسر لنا من تجلياتها

---

١. علم الدلالة، للدكتور أحمد مختار عمر، ص٥، ط الثانية، ١٩٨٨، عالم الكتب، القاهرة.

٢. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر)، للدكتورين: علي حلمي موسى، وعبدالصبور شاهين، ص٥، مطبوعات جامعة الكويت.

٣. المعاجم اللغوية العربية (بداءتها وتطورها)، للدكتور إميل يعقوب، ص١٧، دار العلم للملايين، بيروت.

وتشعباتها المعجمية متتبعين ما نسميه "الحقلَ الدلاليَّ الاجتهاديَّ" انطلاقاً من أُمّه، في تناسل مادته اللغوية لتكون الحصيلة التي حصدناها هي أن معظم الحقول الدلالية الغالبة على المعجم العربي (القاموس المحيط نموذجاً)[1].

هي في حدود تسعة وخمسين وأربعمئة (٤٥٩) حقل دلالي[2]_كما أسلفنا_، جمعتُها وعرَّفتُها وصنفتُها وبوَّبتُها حسب الموضوعات المختلفة (مثل الطبيعتين: الجماد والحية من أرض وجبال وسماء وبحار وأنهار وإنسان

---

١. يعد القاموس المحيط للفيروز آبادي من معاجم اللغة العربية الكبرى، كما يعد أيضاً قنطرة وسطى بين المراحل المعجمية القديمة والحديثة بحكم كون المؤلف عاش في القرن الثامن الهجري (٧٢٩هـ - ٨١٧هـ)، بيد أن الطريقة المعجمية التي اتبعها لا تختلف عن طرائق المعجميين السابقين في مراكمة المادة المعجمية وبعثرتها؛ لا يتقيد إلا بالترتيب الهجائي وبذكر مختلف معاني المادة المشروحة، وعلى الرغم من ذلك ولرصانة مادته المعجمية العلمية اعتمدت "قاموسه" مادة لهذه الموسوعة، لأتصرف في هذه المادة حسب المنهج الذي شرحته سابقاً في هذا البحث، وإيراداً وتمثيلاً لمادة من القاموس المحيط قبل أن أتصرف فيها أذكر مثلاً النموذج الآتي، وأسأل القارئ أي رابط بين شروح المادة المعجمية إلا رابط الترتيب الهجائي الاعتباطي يقول الفيروز آبادي: ((خزب) كفرح ورم أو سمن حتى كأنه وارم والجلد تهيج كتخزب والناقة ورم ضرعها وضاق إحليلها أو يبس وقل لبنه وناقة خزبة كفرحة وخزباء وارمة الضرع أو في رحمها ثآليل تتأذى بها وذلك الورم خوزب وقد تخزب ضرعها والخزب محركة الخزف وجبل باليمامة أو أرض أو هي بها والخيزبان اللحم الرخص اللين كالخيزب، والذكر من فراخ النعام واللحمة خيزبة ومعدن الذهب خزيبة كجهينة وخزبى كحبلى منزلة كانت لبني سلمة فيما بين مسجد القبلتين إلى المذاد وغيرها - صلى الله عليه وسلم - وسماها صالحة تفاؤلاً بالخزب الخزربة اختلاط الكلام وخلطه، الخزلبة القطع السريع). القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، ص٦١، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢. كثرت شروح المعاجم العربية القديمة وإيراد محاسنها ومَخَاطِئِها، وعلى الرغم من أهمية تلك الشروح وإيراد تلك المحاسن والمخاطئ أرى أن الأنجع الآن هو البحث عن المسائل الأعمق بدل الانشغال بالجزئيات، وأعني بذلك كيفية خلق صناعة معجمية جديدة تتوكأ على التراث المعجمي الزاخر وتتكئ على أحدث النظريات المعجمية نظرية وتطبيقاً، ومن الأمثلة على الانشغال بتلك المسائل الجزئية بدل التركيز على البدائل نورد النموذج الآتي: (ومن خلل القاموس أيضاً أن مصنفه يذكر ما يعد من قبيل الفضول واللغو إما لضرورة العلم به والاستغناء عنه أو لعدم تحققه، فمن ذلك إيراده الفعل المجهول بعد الفعل المعلوم كما بينته في النقد الثالث وكقوله انطلق ذهب وانطلق به للمجهول ذهب به، وقوله في هرق وأصل أراق: أَرْيَقَ وأصل يُرِيقُ يُرْيِقُ وأصل يريق يؤريق) الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس الشدياق، ص٣٠٣، المكتبة الكويتية الثقافية — الكويت.

وحيوان ونبات وغيرِ ذلك...)[1] لتستبين القدرةُ الهائلة للفصحى للتعبير عن هذا الكون وقصور معظم مستعمليها عن الغوص إلى أسرارها واكتناه حقائق دقائقها.

مما يجعلني أزعم أن موسوعة "المستكشف" قدمت _أَوَّلَ مرةٍ_ في تاريخ العربية معجماً دلالياً يكشف ما استطعنا كشفه من قدرات الفصحى ويقدمها لمختلف قرائها ومستعمليها تقديماً إحصائياً تصنيفياً تعريفياً سهلاً.[2]

---

١. انظر المعجم الدلالي لموسوعة "المستكشف"، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ٢٠١١.

٢ . لا يمكن إغفال أن رسائل ومعاجم المعاني (أو الدلالات أو الموضوعات) ليست وليدة اليوم في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى أيضاً، وقد أشرت إلى ذلك أعلاه في البحث خاصة معاجم المعاني والرسائل اللغوية مثل المخصص لابن سيده ... إلخ، ولكن طريقة "المستكشف" ربما تتميز عن الطرائق الأخرى بالاستقراء الأقرب إلى الاستقصاء وتعريف أم الحقل الدلالي تعريفاً علمياً وترتيبه حسب أجزائه وتشعباته وتصنيفه وتمحيض المادة اللغوية للحقل نفسه، لاستيضاح ما يمكن أن يزعم تميزاً "للمستكشف" في هذا المجال (قارن بين مواد من المعجم الدلالي لهذه الموسوعة ومواد من الرسائل اللغوية ومعاجم المعاني فيما أشرنا إليه (أمثلة من المخصص: الإبل في المخصص، والإبل في "المستكشف" (وتبلغ دلالاتها سبعا وثمانين وألف (١٠٨٧) دلالة)، والمرأة في المخصص والمرأة في "المستكشف" (وتبلغ دلالاتها أربعاً وثمانين وسبعمئة (٧٨٤) دلالة) ، والرجل في المخصص والرجل في "المستكشف" (وتبلغ دلالاته مئة وألف (١١٠٠) دلالة).

قارن بين طريقة المستكشف التي وضحناها آنفاً وهذه الفقرة من المخصص لابن سيده، وفيها يتناول موضوع الرَّضاع (تداخل المعاني، والميل إلى التعميم دون التخصيص وخلوها من أي ترتيب أو تعديد أو تصنيف):

يقول ابن سيده: (الرضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التربية).

أبو عبيد رضع الصبي أمه ورضعها يرضعها وأنشد الأصمعي قال أنشدنا عيسى بن عمر لهمَّام ابن مرة:

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ** أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

الثعل – الزيادة في ضرع الشاة *ابن دريد* رضعها رضعاً* ابن السكيت* هو الرِّضاع والرَّضاع والرِّضاعة والرَّضاعة *قال أبو عبيدة* إذا أدخلت الهاء فلا يكون إلا بالفتح وهو الرَّضع *غير واحد* أرضعته أمه وهي مرضع على النسب، وأما قوله تعالى: ((تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)) على الفعل وسيأتي ذكر مثل هذا مستقصى في فصل المذكر والمؤنث من هذا الكتاب إن شاء الله.

لقد كنت أعتزم _أَوَّلَ الأمر_ أن أؤلف معجماً عربياً حديثاً على الطريقة المعهودة (مثل طريقة الآباء اليسوعيين اللبنانيين: المعاجم اليسوعية، أو طريقة المعاجم المجمعية الحديثة) بيد أني صرفت النظر عن ذلك لأمور متعددة حرصاً مني على الاستجابة لإكراه تأليف موسوعة معجمية تماشي روح العصر وتحاول جاهدة تجاوزَ التحديات وتسهم في حل المشكلات الحقيقية للفصحى، نطقاً لحروفها (المعجم الصوتي)، واستثماراً لثرائها (معجم الحقول الدلالية)، ومعرفةً لتطور جوانبَ من فسيفسائها الدلالية والثقافية عبر بعض العصور (معجم الشواهد)، وتداركا لبعض الثغرات الاستعمالية والنواقص التعبيرية (المعجم الإحيائي)، ومعرفةً لجوانب من بنيتها الصوتية مربوطةً بالبنيتين: الدلالية والتركيبية (معجم المتقارب الصوتي) و(معجم المستغرب) وهما معجمان صوتيان ودلاليان معاً.

إن هذه الطريقة المعجمية التأليفية الجديدة اقتضتها إكراهات متعددة منها:

- جسامةُ التحدي اللغوي الراهن (تأثر العربية بالانتكاسة الحضارية المعيشة المستتبعة للتخلف والتراجع العلميين الحاصلين).
- اختلاف الظروف الموضوعية التي تعيشها اللغة العربية اليوم عن كل ما سلف من ماضيها التاريخي الطويل.
- انفصام حلقات وقناطر الاستعمال اللغوي، أقصد مراحل الفصحى المعروفة بدءاً من المرحلة الجاهلية ومروراً بمرحلتي صدر الإسلام،

(السفر الأول من كتاب المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي واللغوي الأندلسي (ابن سيده)، ص٢٥، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الأفاق الجديدة – بيروت).

والمرحلة العباسية، وانتهاء بالمرحلة الحديثة والمعاصرة (مما ولّد واقعين مختلفين: واقعَ عربية الاستعمال الحديث والمعاصر، وواقعَ عربية المعاجم التي تسجل معظم ثروة هذه اللغة المعروفة حتى الآن).

- احتياجنا إلى طرائق معجمية جديدة تكشف مستور الطاقات اللغوية العربية (تكشف طريقة "المستكشف" مجمل هذه الطاقات باتباعها طريقةَ أُمِّ الحقل الدلالي الاجتهادي وتناسَلِه اللغوي المربوط بأم الحقل).

لهذه الأسباب وغيرها ارتأيت أنه لا بد أن تُثَوَّر طرائق التأليف المعجمي، وبدأتْ صورة هذه الموسوعة وإكراهاتُ تأليفها تتناسل في ذهني منذ أكثر من ثلاثة عقود، وسعياً إلى الوصول إلى لبّ الموضوع ومَربِطِ الفرس أورد النماذج الآتية، لتكوين تصوّر معين من نماذجَ مختارةٍ من هذه الحقول الدلالية من موسوعة "المستكشف"[1]:

---

١. يقول الثعالبي: كلُّ ما عَلاك فأظلَّك فهو سماء، كلُّ أرض مُسْتَوِيَةٍ فهي صَعيد، كلُّ حاجِزٍ بَينَ الشَّيْئين فَهو مَوْبِق، كل بِناءَ مُرَبَّع فهوَ كَعْبَة، كلُّ بِنَاءٍ عال فهوَ صَرْحٌ ،كلُ شيءٍ دَبَّ على وَجْهِ الأَرْضِ فهو دَابَّةٌ، كلُّ ما غَابَ عن العُيونِ وكانَ مُحصَّلاً في القُلوبِ فهو غَيْب، كلُّ ما يُسْتحيا من كَشْفِهِ منْ أعضاءِ الإنسانِ فهوَ عَوْرة، كلُّ ما أمْتِيرَ عليهِ منَ الإبلِ والخيلِ والحميرِ فهو عِير. (فقه اللغة للإمام أبي منصور الثعالبي، ص١، الدار العربية للكتاب بدون تاريخ).

الواضح أن بعض كتب اللغة التي عنيت بحقول المعاني ومعجم الدلالات (مثل هذا النموذج) وسم عَمَلَها غير قليل من التعميم، وتجاوز الفوارق بين الكليات التي أشار إليها الثعالبي، فإذا كنا نتفق معه في كلياته التسويرية الآنفة الأقرب إلى المنطق الصوري (كلية موجبة: في قوله: كل ما)، فإنا نختلف معه في طريقة الاستنتاج التي نرى أنها يجب أن تمر بجزئيات الحقل الدلالي وتشعباته، حتى نعطي القارئ ذخيرة اللغة الأقرب إلى الكمال عن الحقل الدلالي ليجوز لنا السؤال عن الفوارق بين هذه الكليات التي ذكر (مثلاً: السماء، والأرض والدابة والخيل والحمير) عن أي سماء أو أرض أو دابة أو خيل أو حمير معنية بهذا التعميم؟ لن تتجلى الإجابة إلا بتمييز الفروق من خلال الحقل الدلالي للكلمات المذكورة (انظر النماذج المنتقاة

١. المعجم الدلالي

جدولة لنماذج من الحقول الدلالية لموسوعة المستكشف:

بإنعام النظر في هذا الجدول يتضح للقارئ جملة من الأمور منها:

- أُمُّ الحقل الدلالي (وأقصد بها مُرْتَكَزَ الحقل الأساسي ومِحوَرهُ الذي تتشعب منه شُعَبُ الحقل وجزئياته).
- شعب الحقل الدلالي (وأقصد بها تشعباتِه وجزئياتِه الفرعيةَ المنبثقة عن أُم الحقل الدلالي).
- تمحيض الحقل وإيلاءُ العنايةِ اللغوية للروابط الداخلية بين عناصر الحقل،

وتمثيلاً لما نقول نورد النماذج التاليةَ[1]:

نماذج للحقول الدلالية	أم الحقل الدلالي	عدد الحقل الدلالي	ميزات الحقل الدلالي
نموذج الطبيعة الجماد	الجبل	وتبلغ دلالاته اثنتين وثمانين ومئتي دلالة (٢٨٢) - مرادفاته	

من الحقول الدلالية المتبعة هذا النظام المعجمي الصارم في التعامل مع الحقل الدلالي)، أو موضوعات اللغة أو المعاني المشتركة بين الكلمات، (مثلاً في تعميمات الثعالبي يمكن أن يُتَعَقَّبَ من خلال الحقول الدلالية لأمَّات الحقول التي ذكرها (حقل السماء في موسوعة "المستكشف": وتبلغ دلالاتها إحدى وسبعين (٧١) وحقل الأرض في الموسوعة ذاتها: وتبلغ دلالاتها خمساً وتسعمئة (٩٠٥)، وحقل الدابة في موسوعة "المستكشف": وتبلغ دلالاتها ثلاثاً وسبعين ومئتين (٢٧٣)، وحقل الخيل في "المستكشف" وتبلغ دلالاتها خمساً وخمسين ومئتين (٢٥٥)، والحمار في المستكشف وتبلغ دلالاته تسعاً وخمسين ومئة (١٥٩).

١. انظر نماذج من هذه الحقول الدلالية في موسوعة المستكشف الجزأين الأول والثاني ص ٥٥، ٥٩، ١٤٠، ٦٠٠، ٦٥٠.

		– صفاته – مقاسمه – صعوده	
نموذج الملبوسات	الثوب	وتبلغ دلالاته ثلاثاً وثمانين وأربعمئة (٤٨٣) تتوزع كما يأتي: – بِلَاهُ – اتساخه – أنواعه – صفات أخرى له – مقاسمه – خياطته – صباغته – تزيينه – لبس الثوب – خلعه – ما يلحقه من عوارض أخرى	
نموذج الأطعمة	اللحم	وتبلغ دلالاته إحدى وتسعين ومئة (١٩١) تتوزع كما يأتي: – أنواعه – صفاته – إعداده – تناوله – أقسامه	
نموذج السوائل	الماء	وتبلغ دلالاته سبعاً وستين وخمسمئة (٥٦٧) وتتوزع كما يأتي:	

		– أنواعه – متعلقاته – مشربه – عذوبته – ملوحته – لونه – جريانه – خريره – كدرته – كثرته – قلته – برودته – حرارته	
نموذج الآلات	الإناء	وتبلغ دلالاته ثلاثاً وثلاثين (٣٣) تتوزع كما يأتي: – أنواعه – امتلاؤه – الشرب فيه – مقاسمه – صفات متفرقة له – مناشطه	
نموذج الجسم	الأنف	وتبلغ دلالاته تسعاً وأربعين ومئة (١٤٩): ويتوزع الحقل كما يأتي: – أسماؤه وصفاته :(ضخمه وصغره وقيامه وفطسه) – أقسامه – مناشطه	

		– سوائله	
نموذج الأمراض	الحمى	(انظر مادة المرض والعلة) وتبلغ دلالاتها تسعاً وأربعين (٤٩) تتوزع كما يأتي: – أنواعها – مقاسمها – سَوْرَتُها – انكسارها	
نموذج المغروسات	النخل	وتبلغ دلالاته تسع عشرة وثلاثمئة (٣١٩) تتوزع كما يأتي: – أنواعه – صفاته – لقاحه – إثماره – يبسه – أجزاؤه – غرسه – تهيئته	
نموذج الإنسان	المرأة	وتبلغ دلالاتها أربعاً وثمانين وسبعمئة (٧٨٤) دلالة تتوزع كما يأتي: – صفاتها – المرأة والجنس – مشاعرها – ولدها	

		- زينتها - لباسها - بيتها - حيضها - حملها - نفاسها - إنجابها - إرضاعها	
نموذج الطيور	الطير بأنواعه	وتبلغ دلالاته اثنتي عشرة وخمسمئة (٥١٢) تتوزع كما يأتي: - أنواعه - مناشطه - طيرانه - حركته الأخرى - ذرقه - سفاده - حسوه - زقزقته - انتظامه - زجره - تعشيشه - بيضه - مقاسمه	

نموذج السباع	الأسد	وتبلغ دلالاته أربعاً وستين وثلاثمئة (٣٦٤) وتتوزع كما يأتي: - أسماؤه - صفاته - صيده - مجسمه - أجمته - ولده	
نموذج الحشرات	الجراد	وتبلغ دلالاته ستاً وتسعين (٩٦) وتتوزع كما يأتي: - أنواعه - مقاسمه - مناشطه - بيضه - أكله - صوته - رَزُّهُ في الأرض	
نموذج السوام	الحية	وتبلغ دلالاتها سبعاً وثلاثين ومئة (١٣٧) تتوزع كما يأتي: - أسماؤها - صفاتها - أقسامها - مناشطها	
نموذج المناخ	الريح	وتبلغ دلالاتها إحدى وتسعين ومئة (١٩١) تتوزع كما يأتي: - أسماؤها	

		- أنواعها - شماليها - جنوبيها - غربيها	

٢- المعجم الصوتي للحروف العربية:

لقد تناولتُ بعضَ التناولِ جوانبَ من المعجم الدلالي من موسوعة "المستكشف" وسأتطرق للمعجم الثاني من هذه الموسوعة وهو ما سميته الدليل الصوتي لنطق حروف العربية مُخْرَجاً _على ضبط سيبويه_ وصفةً وكيفيةَ نطقٍ، فما هو هذا المعجم الصوتي إذاً؟

لا يخفى أن علماء السلف اللغويين عُنُوا بدراسة أصوات العربية وحروفها، مدفوعين إلى ذلك بعواملَ عِدَّةٍ منها: الديني والعلمي والثقافي والسلالي وغير ذلك، وارتبطت دراسة أصوات العربية بأكثرَ من علم من علومها أو العلوم الشرعية مثل النحو والصرف والأداء ...إلخ، وهكذا ظهر الدرس الصوتي مبكراً عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ت (نحو ١٧٤ هـ) وسيبويه ت (١٨٠ هـ) وغيرهما (لا بد لنا من تأصيل نشأة الدراسة قبل البدء بالحديث عنها، فالدراسات الصوتية منشؤها العرب المسلمون؛ إذ يطالعنا العالم العربي المسلم الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة كتابه (العين)، التي تُعد مرجعاً صوتياً مهماً للدارسين، وما نقله عنه تلميذه النابه سيبويه في مؤلفه (الكتاب) من جهود صوتية لا تزال محط إعجاب العلماء عرباً وغربيين لدقة الوصف، وشموله، واتساعه وما كتبه ابن جنّي ت (٣٩٢ هـ) في كتابه (سرّ صناعة الإعراب) و(الخصائص) من معلومات صوتية مهمة جداً، ورسالة ابن سينا ت

(٤٢٧ هـ) المسمّاة (أسباب حدوث الحرف) إلى غير ذلك من الدراسات الأخرى).[١]

ولقد تناول علماء العربية دراسة أصوات حروف العربية مُخرجاً وصفة وكيفية نطق، ومنهم ابن جني إذ يقول مفرقاً بين الصوت والحرف: (اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطعُ تَثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطعُ أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدتَه على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أيَّ المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه، أو متجاوزاً له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غيرَ الصدى الأول).[٢]

وواضح أن ابن جني قد تتبع الصوت تتبعاً فيزيقياً (هوائياً) في أحيازه النطقية ليصل إلى مقطعية الحرف التي تستبين عندما يتحيز الحرف في مخرجه قارناً ذلك بأجراس الحروف ومخارجها، ولئن كان هذا التفريق لا يخلو من عمق علمي، فإن منطقة ضبابية بقيت عالقة من هذا التفريق،

---

١. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين للدكتور علي حسن مزبان، الصفحة ١٣، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا.

٢. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق لجنة من الأساتذة، الصفحة ٦ من المقدمة، الجزء الأول، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٤.

ويتجلى ذلك في عدم رصف ابن جني الحدود الفعلية بين الصوت والحرف، لينبهم الأمر، ولتبقى القضية عالقة أساساً بما يسميه بالصدى الأول، وليس ابن جني بِبِدْعٍ من قدماء اللغويين ومُحدَثِيهم في تصديهم لبحث الدرس الصوتي واختلافهم في أمور كثيرة منها: تعريف مخارج الحروف إذ (اختلف القدماء والمحدثون في تعريف (المَخْرج) أو (المُخْرج) كما سمّاه سيبويه في الكتاب بضم الميم وسكون الخاء، فهم يطلقون (المخرج) على مكان النطق، وقد سماه ابن دريد (المجرى) وأطلق عليه ابن سيناء (المحبِس)، وعرفه الأستاذ محمد المبارك ((هو الموضع الذي يكون فيه انحباس الهواء وحجزه من المرور كلياً أو جزئياً بأحد الحواجز الموجودة في الحلق أو الفم كاللهاة أو اللسان أو الشفتين)) واعترض الأستاذ محمد الأنطاكي على مصطلح (مخرج) واستعمل مصطلح (محبس) بدلاً منه).[1]

ولا يبخس جَهد اللغويين الأُوَّل كون كثيرٍ _مما تواضعوا عليه_ محلَّ نقاش وامتراء اليوم في الدراسات الصوتية الحديثة، ويقتضي الإنصاف تقبلَ سيرورةِ الزمن وصيرورتِه المؤذنتين بتغير النطق مما يجعل التوصيفاتِ الصوتيةَ في زمن معين قد لا تكون من الدقة في زمن آخر نتيجة نظام التغير الصوتي (لم يبق من صفات سيبويه الخاصة بصفات الحروف إلا وصفُه لبعض الأصوات على أنها مجهورة، والبعض الآخر على أنها مهموسة، وقد تبين لنا أن تلك التي سماها بالمجهورة هي التي يسميها الأوروبيون الآن Voiced فيما عدا القاف والطاء، فقد اعتبرهما من المجهورات، في حين أن تجاربنا

---

١. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين للدكتور علي حسن مزبان، الصفحة ٢٣، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا.

الحديثة تبرهن على أن هذين الصوتين كما ننطق بهما الآن خاليان من صفة الجهر، وقد تحدثنا عن هذا آنفاً، أما ما سماه بالحروف المهموسة فهي كلها ينطبق عليها تمام الانطباق اصطلاح الأوروبيين Voiceless).[1]

ولئن كنا لا يمكننا أن نكابر في تأثير التعاقبات الزمنية على التغييرات التي تلحق أصوات أي منظومة لغوية وما وصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة، إلا أننا لا نستطيع إلا أن نتفق مع الرأي القائل إن أوائل اللغويين بنوا توصيفاتهم الصوتية على تطبيقات نطقية دقيقة، فكانت ألسنتُهم مَخابرَهم الصوتيةَ؛ لذا (ليس مهماً اتفاق ما توصل إليه الخليل وسيبويه مع ما توصل إليه الدرس الحديث، ولكن المهم أنهما تناولا الأصوات اللغوية من مبدأ صحيح، وهو دراستها دراسة وصفية واقعية قائمة على الملاحظة الذاتية وبعيدة عن الافتراض والتأويل، وكان حرياً بهذا الذي قدماه أن يؤدي إلى تطور كبير في الدرس اللغوي للعربية، وأن يغير كثيراً من شكل هذا الدرس على ما عرفناه في عصوره المتأخرة).[2]

أضف إلى ذلك أن محاذير الوقوع في أقفاص التحديدات والتعريفات الصوتية النابتة في غير البيئة الصوتية العربية قائمةٌ اليوم، ولا يغض من قيمة الانفتاح على الدرس الصوتي الأوروبي الحديث الملحظُ السابق الذي هو اقتضاء منهجي، قبل أن يُفهم تحجراً أو اعتداداً زائداً بلغة معينة، بل إن محاذير الوقوع في التعميمات والتعريفات الصوتية الجاهزة نَبَّهَ عليها أكثرُ من

---

١. الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، الصفحة ١٢٠، الطبعة الرابعة ١٩٧١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .

٢. فقه اللغة في الكتب العربية للدكتور عبده الراجحي، ص ١٣٢، دون تاريخ.

واحد حتى بين اللغات الأقرب نسباً إلى بعضها ثقافةً وفصيلاً لغوياً (وفي حقل النطق الذي تُمَيزُ بداخله اللغة الفرنسية بين حرفين صائتين هما: الحرف iوالحرف e تميز اللغة الإنكليزية بالمقابل بين ثلاثة نماذج من الصوائت، وهي التي نجدها في الكلمات الثلاث biat, bit, beat ولا يمكن مطابقة هذه النماذج الثلاثة بحال من الأحوال مع الصوتينi و é أما الحرف الصامت الذي تعكسه طريقة الكتابة الإسبانية في صورة s الذي ينطقه أهالي قشتالة بطريقة تذكرنا ولو قليلاً بحركة الأولى من كلمة chien هذا الصوت لا يطابق في حقيقة لا s ولا ch بالفرنسية).[1]

لقد حرصنا على إيراد مجمل من القواعد والآراء والتصورات عن واقع الحروف العربية وجملة من المقارنات الصوتية مع لغات أخرى ماضياً وحاضراً، ولقد شغلني واقع الحرف العربي اليوم وما يتهدده من طوفان صوتي ينوء به كوكبنا، إذ احتشدت ألوف مؤلفة من اللغات في صعيد واحد بفعل ثورة الاتصالات والمواصلات، فكيف نحفظ للغة العربية هُوِيَّةَ حروفها وانسيابَ نطقها وجريانَ الأداء الصوتي للناطقين بها أو بغيرها دون أن تكدره عواصفُ دهرٍ صوتي قُلَّب، أو تذهب بريح حروف العربية مخرجاً وصفةً وكيفيةَ نطقٍ ألسنةُ أممٍ ملياريةٍ يُهدِرُ صوتها كالرعد، لِيَصطَلِمَ _بفعل الكثرة الكاثرة للانتشار اللغوي_ كل المنظومات الصوتية المغايرة.

لقد مال بعض الباحثين (ممن أوردت بعض آرائهم) إلى الانشغال بمجموعة من التصورات المنهجية والمضمونية ذات القيمة، ولكن الأَوْلَى _كما أرى اليوم_ هو العودة إلى المنابع الصوتية الأولى لإنقاذ صورة وصوت الحرف العربي، لذا عدت في "المستكشف" إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية، ومنها صُغت دليلاً صوتياً لحروف العربية التسعة

---

١. مبادئ اللسانيات العامة تأليف: أندريه مارتينيه، ترجمة: الدكتور أحمد الحمو، إشراف الدكتورين: عبدالرحمن الحاج وفهد عكام، ص١٦، المطبعة الجديدة، دمشق.

والعشرين، زاعماً ومتصوراً أن هذا الدليل الصوتي يمكن أن يُحوَّلَ بوسائطَ تِقانِيَّةٍ معينة إلى ما يسمى النطقَ "النموذج" إذا ما توافرت شروط منها:

– إشراف مجموعة من كُفاة الأساتذة والقراء على تطبيق هذا الدليل تطبيقاً صوتياً لجسر الهوة بين النظرية الصوتية والواقع النطقي.

– استلهام قواعد التجويد القرآنية في نطق حروف العربية اعتماداً على هذا الدليل الصوتي، بما توفره من تأصيل لا غنى عنه للنطق الصحيح للحرف العربي.

– تنويع النطق النموذجي على المجموعات الإقليمية الصوتية في الوطن العربي ومنها (الأقاليم الشامية والخليجية والمغربية ...إلخ).

– إلزام المؤسسات الدراسية والجامعات العربية بتأسيس مختبرات صوتية.

– تطبيقُ النموذج النطقي الصوتي من خلال تسجيلات صوتية في هذه المختبرات.

ولا أنكر أن الاصطلاحات والتوصيفات التي أوردتها في هذا الدليل الصوتي هي مستقاة _كما أسلفت_ من المصادر والمراجع الأدائية، ولكن ما أدّعيه هو أن صياغة هذا الدليل الصوتي قصدت منها مرونَته وقابليتَه لأن يحول إلى تطبيق عملي نطقي نموذجي، وسعياً إلى تعريف القارئ بهذا الدليل أورد النموذجين الآتيين دون أن أستفيض في الشرح أو التعليل أو التحليل تاركاً للقارئ حظَّ القراءة الهادئة المباشرة ليحكم بنفسه على هذا الدليل الصوتي[1]:

الحرف	المخرج	الصفات	كيفية النطق	القيمة بحساب الجُمل
حرف الباء	شفوية، تخرج من بين الشفتين، مع انطباق الشفتين انطباقاً أقوى من	مجهورة شديدة مستفلة منفتحة مذلقة مقلقلة	إقفال الشفتين ثم فتحهما فتحاً فجائياً بصوت	(٠٢)

١. انظر معجم الدليل الصوتي من موسوعة المستكشف، ص٢٠ – ٣٣.

	انطباق الميم.	مرققة.	انفجاري.	
حرف التاء	نطعية، تخرج من طرف اللسان مع أصلي الثنيتين العليين، مع إلصاق طرف اللسان بأصلي الثنيتين المذكورتين مصعداً إلى الحنك الأعلى.	مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمتة مرققة.	النطق بصوت انفجاري من المخرج المذكور.	(٤٠٠)

٣- معجم المتقارب الصوتي:

سعيت في "معجم المتقارب الصوتي" إلى جمع وجدولة وتصنيف زهاء ثمانية آلاف مادة لغوية، حصل تقارب صوتي بينها في عائلات صوتية مختلفة[١] في المادة الثلاثية[٢] هي:

---

١. إضافة إلى التقارب الصوتي في المادة الثلاثية بين الحرفين واختلاف الحرف الثالث عنهما. عني بعض اللغويين بالكلمات المثلث أولها والمتماثلة كُلُّ حروفها، وقد أدخلنا هذا النوع في التقارب الصوتي مع الإشارة إلى أن الذي اختلف هو ترتيب الحروف فقط، والواضح أيضاً أن الفروق بين هذه الكلمات المثلثة هي فروق في المعنى فقط، وهي داخلة في الأنظومة الصوتية من ذلك مثلاً: (الحَرة والحِرة والحُرة، فأما الحَرة فهي الرمل فيها الحصى والحجارة البيض والسود قال الشاعر:

ترى الحَرة السوداء يحمر لونها ** ويغبر منها كلّ ربع وفدفد

وأما الحِرة فالعطش الشديد، قال الشاعر الكميت:

والبحور التي بها تكشف الحِرة ** والدَّاء من غليل الأوسام

وأما الحُرة فهي الحُرة من النساء) مثلثات قُطرب (تحقيق ودراسة ألسُنية)، للدكتور رضا السويسي، ص٣٧، الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس.

٢. المرجح أن أفعال اللغة العربية ثلاثية وليست ثنائية وإن كان بعض الدارسين من عرب (مثل الأب أنستانس ماري الكرملي) ومستشرقين قد ذهبوا إلى افتراض ثنائية الفعل قبل ثلاثيته: (لقد ذهب مثلاً بلاك Blake إلى أن الفعل المعتل في العربية، إنما كان في الأصل فعلاً ثنائياً تطور عن طريق إشباع صوت المد القصير إلى فعل ثلاثي عوض فيه صوت المد الطويل عن العنصر

١- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والحلقية).

٢- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والنطعية).

٣- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والذلقية).

٤- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والشفوية).

٥- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والشَّجْرية).

٦- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية واللثوية).

٧- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والذلقية).

٨- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية : (الشفوية والأسلية).

٩- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية ومتفرقات من عائلات صوتية مختلفة).

١٠- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والنطعية).

١١- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والشجرية).

١٢- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والذلقية).

١٣- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والأسلية).

١٤- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والحافِّية).

١٥- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية واللثوية).

١٦- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الاختلاف في ترتيب الحروف نفسها فقط).

الثالث) في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، للدكتور غالب فاضل المطلبي، ص١٩٣.

١٧- المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (متفرقات من عائلات صوتية مختلفة). وقد تمثل هذا التقارب الصوتي كما يأتي خاصة في المادة الحرفية الثلاثية:

- تماثل حرفين واختلاف حرف واحد وتقارب المعنيين: (زَعِبَ: نَعِبَ: (نعب الغراب: صَوَّتَ) بَتَأَ: أقام، بَثَأَ: (بَثَأَ: أقام) هَجَأَ: (هجأ جوعه: سكن وذهب)، هَدَأَ: سكن).

- تماثل حرفين واختلاف حرف واحد وتقابل المعنيين (ثَمَغَ: (ثَمَغَ رأسَه بالحِنَّاءِ: غَمَسَه وأكثر)، غَمَسَ: (غَمَسَهُ في الماءِ يَغْمِسُهُ: مَقَلَهُ)، عَمَجَ: (أسْرَعَ في السَّيْرِ، وسَبَحَ في الماءِ)، عَامَ: (العَوْمُ: السِّباحَةُ وسَيْرُ الإبِلِ والسَّفينَة.)).

- تماثل حرفين واختلاف حرف واحد وتضاد المعنيين (نَفَحَ: (نَفَحَ الطِّيبُ : فاحَ)، لَفَحَ: (لفحت النارُ بِحَرِّها: أحرقَت)، حَبَا: (حبا فُلاناً: أعْطاهُ بِلا جَزاءٍ ولا مَنٍّ، أو عامّ)، حَفَا: (حَفَا زَيْدٌ فلاناً: مَنَعَهُ)، حَفَتَ: (الخَفْتُ: إسْرارُ المَنْطِقِ)، خَفَا: (خَفَا الشيءُ: ظَهَرَ))[1].

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن التقارب الصوتي في اللغة العربية ظاهرة عني بها اللغويون العربُ القدامى والمعاصرون، ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن فارس، وابن دريد[2]، وابن جني وغيرهم، كما نالت هذه

---

١. انظر موسوعة المستكشف، للدكتور إدريس ولد عتيه، ص١٨٠١ - ١٨٥٩، نشرتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، عام ٢٠١١، الرباط، المغرب.

٢. حاول ابن دريد أن يربط بين أسماء القبائل واشتقاق ذلك إذ يقول: (منهم: بنو الكُبَاس، وبنو الحُمَّرة، وبنو جعفر، فأما جعفر كُباسا. واشتقاق (جعفر) من النهر الصغير، يقال للنهر الصغير جعفر. ورأسٌ كُباس، إذا كان عظيماً.

ومن رجال الحُمَّرة: الأسود بن أوس، كان علمه النجاشي دواء الكلَب، فهم يداوون به العرب إلى اليوم. وقد صار منهم اليوم إلى بني المحل، فهو فيهم أيضا) الاشتقاق لأبي بكر محمد بن

الظاهرة قسطاً من العناية والبحث في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، بيد أن ما أزعم أن معجم المتقارب الصوتي من موسوعة "المستكشف" قد تميّز به هو هذا الجمع والتصنيف والإحصاء غير المسبوق _حسب علمي المتواضع_ في التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية العربية الحديثة.

لقد كان مَشْغَلِي البحثيُّ هو مقاربة ظاهرة التقارب الصوتي في المادة الثلاثية _أساساً_ برقم معين، أدعي أنه شمل مجمل المادة اللغوية في المعاجم العربية القديمة (القاموس المحيط للفيروز آبادي نموذجاً).

ولعل من المفيد التنويه أنه من اللغويين البارزين الذين أشاروا إلى ظاهرة التقارب الصوتي (المسماة اشتقاقاً أكبرَ)، ومن الذين ذكروا طرائقَ معينةً لتعليلها وتفسيرها صوتاً ودلالةً: ابنُ جنّي إذ استعرض نماذج معدودة من هذه الظاهرة ومن ذلك قوله: (ألا تراهم قالوا قَضَمَ في اليابس وخَضَمَ في الرطب؛ وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف).[1]

وعلى الرغم من الإلماعات الذكية لابن جنّي وتوظيفه البعدين: الصوتيَّ والدلاليَّ في تفسير هذا التقارب الصوتي، فإن عملنا في موسوعة "المستكشف" يختلف في مقصده عن مجرد الاكتفاء بذكر أمثلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة (كما فعل ابنُ جنّي)، وإنما يتجاوز ذلك، ليؤصّل الظاهرةَ نفسَها اتكاءً على مادة لغوية كبيرة، وجدولةَ وتصنيفَ تلك المادة دلالة وصوتاً وتصوراً[2].

الحسن ابن دريد، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ص٢٢٥، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر، مطبعة السنة المحمدية.

١. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط. ٢، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص١٦٥.

٢. انظر نماذج من جداول المتقارب الصوتي في موسوعة المستكشف البالغ ثمانية آلاف مادة في ست عشرة عائلة صوتية، ص ١٨٠١ – ١٨٥٩.

لم أسارع بعد عملي في معجم المتقارب الصوتي إلى استنتاجات أو مسارات معينة لحروف المادة اللغوية المجموعة صوتاً ودلالة[1]، نظراً لتوخي الحذر من الاستنتاج العَجِلِ _على الرغم من ضخامتها النسبية_، وإنما أكتفي في هذه المرحلة أن أقدم هذا المتقارب الصوتي، لتُعرف أمور أساسية منها:

- إحصاء يقارب الاستقصاء لمادة المتقارب الصوتي في القاموس المحيط للفيروز آبادي (بوصفه واحداً من أكبر معاجم العربية وأرصنِها مادةً علمية).

- تعريف القراء بالعائلات الصوتية لهذا التقارب الصوتي في عدد قارب أن يشمل جميع حروف العربية في المادة المجموعة (ست عشرة عائلة صوتية ضمت مُخْتلِفَ الحروف العربية).

- تقريب ظواهر العربية المميزة (مثل ظاهرة التقارب الصوتي) بلغة الأرقام، بعيداً عن التخمين المبني على الافتراض، أو التمثيل المحدود المبني على القياس غير المتكئ على مادة لغوية محصاة.

- تسهيل مواكبة هذا المتقارب الصوتي وتذوقه؛ لما يوفره التجانس الصوتي بين حروفه من جرس واستمتاع يسهل الأصعب بالتقارب مع الأسهل.

---

١. يميل بعض الدارسين في هذا السياق إلى الربط بين الأداة المعنوية والاشتقاقات الفعلية أكثر من ميله إلى التقارب الصوتي فيرى (أن النواة المعنوية الواحدة لفعل الرؤية، لم تمنع الصيغ الفعلية والاستعمالات الاشتقاقية المختلفة من تنويع الدلالات، حتى تراوحت بين إدراك عام عبر البصر وبين إدراك مخصوص لحال معينة، والملاحظ أن اختلاف المرئيات (أي مفاعيل الرؤية = من تقع الرؤية عليهم؛ من حيث الجنس والعدد) يسهم في تغيير المعنى إسهاما أساسياً) تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، للدكتور صابر الحباشة، ط١، ٢٠١١، الحامد.

وعودةً وتوضيحاً لما أسلفت ذكره، فإن وصف الظاهرة وإحصاءها وتصنيفها من شأنه أن يمنح الباحثين والمهتمين مهاداً بحثياً مكيناً، يمكن الرجوع إليه، واستنباط ما يمكن أن أسميَه فلسفة اللغة في هذا التقارب الصوتي، هل هو اعتباط ومصادفة صوتية؟ أو أنه تداعي الدلالات أدى إلى تداعي الأصوات؟

لا أريد الإهطاع إلى صبغ الحروف بصبغ الدلالات؛ لأن هذه الحروف من حيث المخارجُ والصفات أعقدُ من أن تُرصفَ في اصطباغ دلالي مبني على صفة أو مخرج صوتيين[1].

ولئن كان تصوير ابن جنّي الصوتي للمادة التالية: (فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر "قد يدرك الخضم بالقضم"، أي قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف)[2].

لا يخلو من قوة نتيجة اتكائه على بعض خواص الحروف مخرجاً وصفة، فإنه لا يمكن أن يعمم إطلاقاً[3]، وإنما ينظر إليه فقط في سياق أمثلة محدودة، ما تلبث أن تنقضها نماذج أخرى[1].

---

١. انظر نماذج من المعجم الصوتي في موسوعة "المستكشف" ص١٨٠١ – ١٨٥٩، ينطبق عليها توصيفنا القائل إنه يصعب أن تصطبغ الحروف بدلالات معينة حسب صفاتها ومخارجها حصراً، وإنما يمكن أن يكون ذلك في حالات معينة.

٢. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط٢، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص١٥٧ – ١٥٨.

٣. من الأمثلة التي ساقها ابن جني والفلسفة المزجية الصوتية للغة كما يراها ناسباً إلى بعض الحروف خاصيات دلالية معينة يقول: (فقالوا: بحث: فالباء لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط٢، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص ١٦٣.

وسعياً إلى التمثيل وإشراك القارئ في التطبيقات العملية والإحصائية أورد

النموذج الأول: المتقارب صوتاً ودلالة:

المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والحلقية)[1]

النموذجين التاليين من معجم المتقارب الصوتي في المنحنيات الدلالية الثلاثة وعدد مختلف من العائلات الصوتية:

١	وبأه: عبأه.	عبأ الأمر: هيأه.	وبَأَهُ:عبَأَهُ		ب (شفوية)، أ (حلقية)
٢	بَتأ بالمكانِ: أَقَامَ.	بَتَأَ: أقام.	بتا بالمكان: أقام		ب (شفوية) أ (حلقية) "منقبلة

ومن ذلك أيضاً قوله في السياق السابق نفسه معللاً الفرق بين القَدّ والقَطّ: (ومن ذلك القد طولاً، والقط عرضاً. وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً من الدال. فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض، لقربه وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولاً) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط. ٢، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص١٦٣.

١. لعل العلامة ابن جنّي معذور فيما ذهب إليه، إذ إلى أستاذه أبي علي الفارسي وإليه يعود قصب السبق في تناول ظاهرة التقارب الصوتي، بيد أن احتياجه إلى مقاربة حجم الظاهرة ــ وهذا زعمي ــ هو ما ألجأه إلى ضروب من التعميمات مطبقة على نماذج محدودة، مصداقاً لهذا انظر التقارب الصوتي في العائلة الصوتية المتضمنة للخاء والباء ومنافاة كثير من أمثلتها لما ذهب إليه ابن جني.

٢. انظر موسوعة المستكشف ص١٨٠١ – ١٨٥٩.

					عن الواو" (شفوية)
٣	أوكأه: نصب له متكأ.	وَطَأَهُ: هَيَّأَهُ، ودَمَّثَهُ وسَهَّلَهُ.			أ (حلقية)، و(شفوية)
٤	هجأ جوعه: سكن وذهب.	هَدَأَ: سَكَنَ.			هـ (حلقية)، أ (حلقية)
٥	البوباة: الفلاة.	المومأة: الصحراء التي لا أنيس بها.			و (شفوية)، هـ(حلقية)
٦	المحجأ: الملجأ.	الملجأ: المعقل والملاذ.			ج (شجرية)، أ(حلقية)
٧	سخأ النار: جعل لها مذهباً تحت القدر.	سَخَا النارَ: جَعَلَ لها مَذْهَباً تَحْتَ القِدْرِ.			أ(حلقية) و ا "منقلبة عن الواو) (شفوية)
٨	تفسأ فيهم المرض: انتشر	تفشأ: انتشر.			ف (شفوية)، أ(حلقية)
٩	الفطأ: دُخُول الظَّهْرِ وخُروجُ الصَّدْرِ.	الفطس: تَطامُنُ قَصَبَةِ الأنْفِ وانْتِشارُها، أو انْفِراشُ الأنْفِ في الوجْهِ.			ف (شفوية)، أ(حلقية)
١٠	خذبعه: قطعه.	خدبه بالسيف: قطع اللحم دون العظم.			خ (حلقية)، ب (شفوية)
١٢	تخرب الجلد: تهيج.	تخزب الجلد: تهيج.			خ(حلقية)١١، ب(شفوية)
١٣	التزيب: التزيد في الكلام.	والتَّزَيُّدُ: وتَكَلُّفُ الزِّيادَةِ في الكَلامِ وغَيْرِهِ.			ب(شفوية) ع(حلقية)
١٤	زعب: نعب.	نعب الغراب: صوت.			ع(حلقية) ب(شفوية)
١٥					
١٦	السخب: الصخب.	الصَّخَبُ: شدَّةُ الصَّوْتِ.			خ(حلقية)، ب(شفوية)
١٧	الضَّيْهَبُ: لِمَشْوِيِّ اللَّحْمِ.	الصَّيْهَبُ:	كلُّ مَوْضِعٍ تَحْمَى عليه الشمسُ حتى يَنْشَوِيَ اللَّحْمُ		هـ(حلقية) ب(شفوية)

			عليه.		
١٨	والتَّوْرِيبُ: أن تُوَرِّيَ عنِ الشيءِ بالمُعارَضاتِ المُباحاتِ.		(التورية) وَرَّاهُ: أخْفاهُ.		و(شفوية) ر(حلقية)
١٩	الهَيْدَبى: جِنْسٌ من مَشْيِ الخَيْلِ، فيه جِدٌّ.		الهَيْدَبى: الهَيْدَبَى.		هـ(حلقية) ب(شفوية)
٢٠	المَبعوثُ: المَبْعوثُ.		(المَبْعوثُ) بَعَثَه: أرْسَلَهُ.		ب(شفوية) ع(حلقية)
٢١	الحَفِثُ: الحَفِثُ.		الحَفِثُ: القِبَّةُ.		ح(حلقية) ف(شفوية)
٢٢	الخَبيثُ: الشيءُ الحَقيرُ والخَبيثُ.		(خَبُثَ) الخَبيثُ: ضدُّ الطَّيِّبِ والرَّدِيءُ الخَبُّ		خ(حلقية) ب(شفوية)
٢٣	خاتَ الرجلُ: نَقَضَ عَهْدَهُ وأخْلَفَ وعْدَه.		(خان)الخَوْنُ: أن يُؤْتَمَنَ الإنْسانُ فلا يَنْصَحَ.		خ(حلقية) ا(منقلبة عن واو)
٢٤	غَمَتَهُ الطَّعامُ يَغْمِتُه: ثَقُلَ على قَلْبِه فَصَيَّرَهُ كالسَّكْرانِ فغمت.	غَطَّاهُ: سَتَرَهُ وعَلاَهُ.	غَطَّهُ في الماءِ: غَطَّسَه.	غَمَّهُ فاغْتَمَّ وانْغَمَّ: حْزَنَهُ.	غ(حلقية) م(شفوية) غ(حلقية)ط
٢٥	الأَبَجُ: الأَبَدُ.			الأَبَدُ: الدَّهْرُ.	أ(حلقية) ب(شفوية)
٢٦	عَمَجَ: أسْرَعَ في السَّيْرِ، وسَبَحَ في الماءِ.			عام: العَوْمُ: السِّباحَةُ وسَيْرُ الإبِلِ والسَّفينَة.	ع(حلقية) م(شفوية)
٢٧	فاجَ المِسْكُ: فاحَ.			فاحَ المِسْكُ: انْتَشَرَتْ رائِحَتُه، ولا يقالُ في الكريهَةِ، أو عامٌّ.	ف(شفوية) ا(منقلبة عن واو) و(شفوية)

٢٨	التَّذْبِيحُ: التَّذْبيحُ.	التَّذْبيحُ: . ذَبَّحَ: بَسَطَ ظَهْرَه، وطَأْطَأَ رأسَه.			ب(شفوية) ح(حلقية)
٢٩	فَضَحَكَ الصُّبْحُ: فَصَحَكَ.	فَصَحَكَ الصُّبْحُ: بانَ لك وغَلَبَكَ ضَوْؤُهُ.			ف(شفوي) ح(حلقية)
٣٠	التَّفَتُّحُ: التَّفَتُّحُ.	(فَتَحَ) التفتح: ضِدُّ الإغْلاق.			ف(شفوي) ح(حلقية)
٣١	الإبِلُ تَتَمَتَّحُ في سَيْرِها: تَتَرَوَّحُ بأيْدِيها.	تَتَرَوَّح: وتَرَوَّحْنا: سِرْنا في الرواح أو عَمِلْنا.			ت(شفوي) ح(حلقية)
٣٢	فَحيحُ الأفعى: فَحيحُها.	فَحيحُ الأَفْعى: صَوْتُها من فيها.			ف(شفوي) خ(حلقية) ح(حلقية)
٣٣	المخرج نفسه (الحلق).	فَسَخَ يَدَهُ: أزالَ المَفْصِلَ عن مَوْضِعِه.	فَصَخَ يَدَهُ: فَسَخَها.		ف(شفوي) خ(حلقية)
٣٤	انْفَضَحَت القَرْحَةُ وغيرُها: انْفَتَحَتْ واتَّسَعَتْ.	انْتَفَخَ سَحْرُهُ: عَدَا طَوْرَهُ وجاوزَ قَدْرَهُ.			ف(شفوي) خ(حلقية)
٣٥	المَصْخُ: المَسْخُ.	(المَسْخُ) مسخه: حوَّل صُورَتَه إلى أُخْرَى أقْبح.			م(شفوي) خ(حلقية)
٣٦	الوَضَخُ: الوَسَخُ.	(الوَسَخُ) اتَّسَخَ: عَلاهُ الدَّرَنُ.			و(شفوي) خ(حلقية)
٣٧	أفِدَ: دَنا وأزِفَ.	أزف التَّرَحُّلُ: دَنَا.			أ(حلقية) ف(شفوي)
٣٨	(غَمَدَ) تَغَمَّدَه اللّهُ بِرَحْمَتِه: غَمَرَه بها.	(غمر) غَمَرَهُ الماءُ: غَطَّاهُ.			غ(حلقية) م(شفوي)
٤٠	الحَوْذُ: الحَوْطُ.	الحَوْطُ: حيْطٌ مَفْتولٌ من لَوْنَيْنِ أسْوَدَ وأحْمَرَ فيه حَرَزاتٌ وهِلالٌ من فِضَّةٍ تَشُدُّه المرأةُ في وَسَطِها لِئلاَّ تُصيبَها العينُ.			ح(حلقية) و(شفوي)

٤١	حاذةٍ: هُما بِحاذةٍ واحدةٍ: بحالَةٍ.	الحالَة: كِينَةُ الإِنْسانِ، وما هو عليه والوَقْتُ الذي أَنْتَ فيه.			ح(حلقية) و(شفوي)
٤٢	العِمارَةُ: كلُّ شيءٍ على الرأسِ من عمامَةٍ وقَلَنْسُوَةٍ وتاجٍ وغيرِهِ.	العِمامةُ: المِغْفَرُ والبَيْضَةُ وما يُلَفُّ على الرأسِ.			ع(حلقي)م
٤٣	فَنْخَرَ: نَفَخَ مَنْخَرَهُ الواسعَ.	نَفَخَ بفَمِه: أَخْرَجَ منه الرِّيح.			ف(شفوي) خ(حلقية)
٤٤	(مَلَغَ) المَلْغُ: السَّيَلانُ من العُيُونِ في شَعَفاتِ الجبالِ.	مَرَغَ بِغائِطِهِ أو بَوْلِهِ: رَمَى به خَوْفاً.			م(شفوية) ع(حلقية)
٤٥	مَشَعَ بِمَنِيِّهِ أو بَوْلِهِ: رَمَى به.	أَمْرِع بغائِطِهِ أو بَوْلِهِ: رَمَى به خَوْفاً.	مَصَعَت المرأةُ بالوَلَدِ: رَمَت به.		م(شفوية) ع(حلقية)
٤٦	بَغَّ الدَّمُ: هاجَ.	(بثغ) البَثَغُ: ظُهورُ الدَّمِ في الجَسَدِ.	تَبَوَّغَ الدَّمُ به: هاجَ.	(باغ) تَبَيَّغَ الدَّمُ: هاجَ وغَلَبَ.	ب(شفوي) غ(حلقي)
٤٧	ثَمَغَ رأسَه بالحِنَّاءِ: غَمَسَه وأكثر.	(غمس) غَمَسَهُ في الماءِ يَغْمِسُهُ: مَقَلَهُ.			م(شفوي) غ(حلقي)
٤٨	مَغْمَغَ اللَّحْمَ: مَضَغَه ولم يُبالِغ.	مَضَغَه: لاكَهُ بِسِنِّهِ.			م(شفوي) غ(حلقي)
٤٩	تَحْسيفُ الشَّارِبِ: حَلْفُهُ.	(التحفيف) احْتَفَّ النَّبْتَ: جَزَّهُ.	أَحْفَى شارِبَهُ: بالَغَ في أَخْذِهِ.		ح(حلقي) ف(شفوي)
٥٠	حَوَّفَهُ: جَعَلَهُ على الحَافَةِ.	حَرَفَ الشيءَ عن وجْهِهِ: صَرَفَهُ.			ح(حلقي) ف(شفوي)
٥١	تَحَوَّفْتُ الشيءَ: تَنَقَّصْتُهُ.	تَحَوَّفَ الشيءَ: تَنَقَّصَهُ.	تَحَيَّفْتُه: تَنَقَّصْتُه من حِيفِهِ، أي:		ح(حلقي) ف(شفوي)

			نَواحِيهِ.		خ(حلقي) والصيغة نفسها (تفعل)
٥٢	عَدَفَ: أكَلَ.	عذف: أكَلَ.			ع(حلقي) ف(شفوي)
٥٣	عَزَفَتْ نَفْسِي عنه: زَهِدَتْ فيه وانْصَرَفَتْ عنه، أو مَلَّتْه.	عَسَفَ عن الطَّرِيقِ: مالَ، وعَدَلَ.			ع\ف
٥٤	(عنف) واعْتَنَفَ الطعامَ والأَرْضَ: كَرِهَهُمَا.	عافَ الشَّرابَ: كَرِهَهُ فَلَمْ يَشْرَبْهُ (وقد يقال في غيره).			ع(حلقي) ف(شفوي)
٥٥	أغْضَفَ اللَّيْلُ: أظْلَمَ واسْوَدَّ.	(أغسف) أَغْسَفُوا: أَظْلموا.			غ(حلقي) ف(شفوي)
٥٦	امْتَلأَ من الطعام: شبع.	أَتَلَ منَ الطَّعامِ: امْتَلأَ.			م(شفوي) أ(حلقي)
٥٧	(توخن) التَّوَخُّنُ: القَصْدُ إلى خَيْرٍ أو شَرٍّ.	توخى رِضاهُ: تَحَرَّاهُ			و(شفوي) خ(حلقي) والصيغة نفسها (تفعل)
٥٨	باهَهَا: جامَعَها.	بال: أسال البول من ثيله.			ب(شفوي) و(شفوي) هـ(حلقي)
٥٩	الدَّمَةُ: شِدَّةُ حَرِّ الرَّمْلِ.	ذَمِهَ الحَرُّ: اشْتَدَّ.			م(شفوي) هـ(حلقي)
٦٠	(وبه) هو لا يُوبَهُ له: لا يُبالَى به.	أبه له: فَطِنَ، أو نَسِيَهُ ثم تَفَطَّنَ له. وهو لا يُؤْبَهُ له.			ب(شفوي) هـ(حلقي)
٦١	احتطب عليه في الأمر: احتقب.	واحْتَقَبَهُ واسْتَحْقَبَه: ادَّخَرَه.			ح(حلقية) ب(شفوية)

النموذج الثاني: المتقارب صوتاً والمتقابل والمتضاد دلالة:

المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والشفوية)

١.	نَفَحَ الطِّيبُ: فاحَ.	لفحت النارُ بِحَرِّها: أحرقَت.			ح(حلقي) ف(شفوي)
٢.	ما أعْبَأُ بِفُلانٍ: ما أُبالي.	عَبِثَ: لَعِبَ.			ع(حلقي)ب(شفوي)
٣.	(حمر) الحْمَرَّ: صارَ أحْمَرَ.	(سحم) السحم: السَّوادُ.			ح(حلقي)م(شفوي)
٤.	رخم الكلام: لانَ، وَسَهُلَ.	(فخم) الفخم من المَنْطِقِ: الجَزْلُ.			خ(حلقي)م(شفوي)
٥.	(هانف) الأَهْنافُ: خاصٌّ بالنِّساءِ، وهو ضَحِكٌ في فُتورٍ كضَحِكِ المُسْتَهْزِئِ.	(هاتف) هتف به : صاحَ.			هـ(حلقية) ف(شفوي)
٦.	حبا فُلاناً: أعْطاهُ بِلا جَزاءٍ ولا مَرٍّ، أو عامٌّ.	حَفَا زَيْدٌ فلاناً: مَنَعَهُ.			ح(حلقي)و(شفوي)
٧.	(خفت) الخَفْتُ: إسْرارُ المَنْطِقِ.	خَفَا الشيءُ: ظَهَرَ.			خ(حلقية)ف(شفوي)
٨.	رَغَا البَعيرُ والضَّبُعُ والنَّعامُ: صَوَّتَتْ فَضَجَّتْ.	ضَغا السِنَّوْرُ ونحوُه: صاحَ.			غ(حلقي) و(شفوي)
٩.	عوى: لَوَى خَطْمَهُ، ثم صَوَّتَ، أو مدَّ صَوْتَه ولم يُفْصِحْ.	مَعا السِّنَّوْرُ: صَوَّتَ.			ع(حلقي)و(شفوي)
١٠.	لغا: تَكَلَّمَ.	مَغا السِّنَّوْرُ: صاحَ.	مَقلوبُ الفصيلُ أُمَّهُ: رَضَعَها شديداً.		غ(حلقي)و(شفوي) م(شفوي) و(شفوي)
١١.	رخم الكلام: لانَ، وَسَهُلَ.	(فخم) الفخم من المَنْطِقِ: الجَزْلُ.			خ(حلقي)م(شفوي)
١٢.	وَغا السِنَّوْرُ ونحوُه: صاحَ.	ضَغا السِنَّوْرُ ونحوُه: صاحَ.			غ(حلقي)و(شفوي)
١٣.	(وخز) الوخز: الطَّعْنُ بالرُّمْحِ وغيرِه، لا يكونُ نافِذاً.	وخَفَ الخِطْمِيَّ: ضَرَبَهُ حتى تَلَزَّجَ.			و(شفوي)خ(حلقي)

٤- معجم الشواهد الثقافية:

تجدر الإشارة إلى أن العربية المعروفة الآن وصلتنا بعد مسار تاريخي طويل، واعْتَوَرَتْها تغيراتٌ وتطورات كبرى قبل أن ترسوَ على قنطرة الفصحى التي عرفت منذ العصر الجاهلي (العرب الباقية: وهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف، وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية، وانشعبت منها اللهجات التي يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد الحجاز ونجد واليمن وما يتاخمها ويتصل بها من محميات وإمارات مستقلة في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق والكويت ومصر والسودان وبلاد المغرب العربي ومالطه).[١]

كما أنه لا سبيل إلى المعرفة الدقيقة لبداية اللغة العربية ومدى تأثرها باللهجات اليمانية القديمة التي من ضمنها: اللهجات المعينية والسبئية والحميرية القديمة، واللهجات القتبانية واللهجة الحضرمية، وإن كان الدكتور علي عبدالواحد وافي يصف كيف بدأت الفصحى تسود بقوله: (أتاحت مجاورة اللغة العربية للغات اليمنية القديمة فرصاً كثيرة للاحتكاك اللغوي، فاشتبكت معها في صراع استغرق أمداً طويلاً، وانتهى في المراحل الأخيرة من العصر الجاهلي بانتصار العربية على هذه اللغات في كثير من المناطق، وَفقاً لقانون الصراع بالمجاورة).[٢]

ولعل انشغال المعجميين العرب الأُوَّلِ كان منحصراً في أن يجعلوا معاجمهم عَرائِنَ للفصحى جمعاً لمادتها وشرحاً لكلماتها، وتهذيباً وتَأَلُّفًا

---

١. فقه اللغة، للدكتور علي عبدالواحد وافي، ص١٠٧، ط٨، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

٢. السابق نفسه، ص٧٩، ط٨.

لوحشيها وغريبها[1]، ولم يعنوا ـإلا لماماًـ بتأريخ تطور دلالاتها ووَسْمِ اصطلاحاتها بمِيسَمِ الفُسَيفِسَاءِ العلمية التي تَرَوَّى منها كثير من اصطلاحات الفصحى عبر العصور، إلا أن تأثر العرب في العصور الحديثة بازدهار الحركة العلمية في أوروبا (ومنها حركة الصناعة المعجمية التي تتضمن أنواع المعاجم الصغيرة والوسيطة ومعاجم الجيب ومعاجم الموضوعات والتخصصات والمعاجم التاريخية الكبرى)، جعل الحركة المعجمية العربية المعاصرة تشرئب إلى هذا الوافد المعجمي الجديد.[2]

وكان من بواكير هذه الحركة المعجمية العمل المعجمي للمستشرق الألماني فيشر إذ حاول تأليف معجم تأريخي للغة العربية متبعاً منهجاً معيناً في ذلك (فالمعجم يتناول بقدر الإمكان بحث تأريخ كل الكلمات التي جاءت في الآداب العربية مبتدئاً بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة من

---

١. يميل بعض الباحثين إلى تناول اللغة العربية في سياق إدماجها في اللغات الطبيعية، رائياً أنها تشترك معها في كثير من الخصائص: (تصور خاطئ للغة العربية: فاللغة العربية بصفتها (لغة) تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية) وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات) اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، للدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري، ص٥٦، دار توبقال للنشر — الدار البيضاء/المغرب، منشورات عويدات- بيروت/باريس.

٢. وعلى أساس من هذا التقسيم المعجمي المقتبس أساساً من الأوروبيين، والمستمد أيضاً من التراث المعجمي العربي أورد الدكتور حسين نصّار تخطيط عبدالله العلايلي لأنواع احتياجاتنا من المعاجم:

١) المعجم المادي، ويبحث على سنة المعاجم القديمة.

٢) المعجم العلمي، ويبحث في الاصطلاحات موزعة على حسب الاختصاص بحيث يكون للقانون جزء يختص به، وللاجتماع كذلك، وهكذا.

٣) المعجم الاصطلاحي، وهذا يكون من نسق الكليات لأبي البقاء والتعريفات للجرجاني.

٤) المعجم التاريخي أو النشوئي، ويبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية، وتراوحها بين الحقيقة والمجاز مقيدة بالعصور، ويكون على أسلوب مادي.

٥) المعجم المَعْلمي وهو يضم جميعها باختصار.

(المعجم العربي نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار، الجزء الثاني، ص٧٦٢، ط٢، ١٩٦٨).

القرن الرابع الميلادي ومنتهياً بالعهد السابق ذكره (نهاية القرن الثالث الهجري) أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من كمال).[1]

وقد حدد هذا المستشرق المادة العلمية التي يستقي منها بحثه قائلاً إن معجمه: (يتناول الكلمات الموجودة في القرآن والحديث والشعر والأمثال والمؤلفات التاريخية والجغرافية وكتب الأدب والكتابات المنقوشة والمخطوطات على أوراق البردى والنقود ... وقد استثنيت من ذلك في الغالب الكتب الفنية إلا أني توسعت في أخذ المصطلحات منها).[2]

ولئن كان بعض معاجم العربية القديمة لم يخلُ من بذرة المعجم التأريخي الذي يعنى بتأريخ تطور الدلالات عبر العصور، مما يعني أن عمل المستشرق فيشر لم يبدأ تماماً من فراغ، وإنما سبقته إرهاصات ومتكآت لها قيمتها وثقلها في مجمل خُطاطات المعجم التأريخي، ومنها ذكر بعض القصص والحكايات التي تسهم في "الوسم التأريخي" العام لألفاظ اللغة ومواطن الناطقين بها (وبعد؛ فإني قصدت في هذا المجموع ذكر المواضع المشهورة عند الناس من العربية والعجمية والأصقاع التي تعلقت بها قصة، وكان في ذكرها فائدة أو كلام فيه حكمة، أو لها خبر ظريف أو معنى يُستملح أو يُستغرب ويحسن إيراده).[3]

---

١. المعجم العربي نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار، ج٢، ص٧٣٤، ، ط٢، ١٩٦٨.

٢. السابق نفسه.

٣. الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، لمحمد بن عبدالمنعم الحميري، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان.

كما يمثل بعضُ إشارات التأريخ الدلالي والتصنيف القبلي للغة[1] مثل ما ورد في القاموس واللسان وأساس البلاغة بذراتٍ لهذا المعجم التأريخي.[2]

إن اللغة العربية لم تعرف هذا النوع من المعاجم بسَمْتِه الأوروبي، وارتبطت معرفتنا به بعد احتكاك العرب بالبلدان الأوروبية وأمريكا في العصر الحديث، ولقد جعل معظم مجامع اللغة العربية هدفاً له تأليفَ المعاجم التأريخية العربية دون أن نشهد _حتى اليوم_ ميلاد معجم تأريخي عِيلَ صبر انتظاره وجاوزنا أُزُوفَ ساعة تأليفه.

---

١. من ذلك تسميات العرب لخيولها ووسمها بدلالات عربية تعطي الدارس تصوراً عن تطور دلالات المسميات في التراث اللغوي، أسماء الخيول نموذجاً: (أول من ارتبط فرساً في سبيل الله سعد بن أبي وقاص، وروى سفيان بن عيينة عن المسعودي عن القاسم بن عبدالرحمن قال: أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود. وكان للزبير بن العوام فرس يقال له: اليعسوب، وفرس شهد عليه خيبر يقال له: معروف، وكان له أيضاً فرس يقال له: ذو الخمار شهد عليه يوم الجمل) كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها، لأبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، ص٨٢، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، ط١، ١٩٨٤، مكتبة النهضة المصرية.

ومن ارتباط أسماء القبائل بدلالات الألفاظ نورد أيضاً: (بَهَلَهُ: (بَهْلًا) مِنْ بَابِ نَفَعَ لَعَنَهُ وَاسْمُ الْفَاعِلِ بَاهِلٌ وَالْأُنْثَى بَاهِلَةٌ وَبِهَا سُمِّيَتْ قَبِيلَةٌ، وَالِاسْمُ الْبَهْلَةُ وِزَانُ غُرْفَةٍ وَبَاهَلَهُ مُبَاهَلَةً مِنْ بَابِ قَاتَلَ لَعَنَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ وَابْتَهَلَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى ضَرَعَ إلَيْهِ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ج١، ص٦٤، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٢. ترسَّم الزمخشري طريقة خاصة في معجمه أساس البلاغة، إذ تتبع مسار الكلمات من الحقيقة إلى المجاز دون أن يحدد طبعاً زمان المسار، ولكن ذلك كان بداية لجزء من تتبع مسار الكلمة الدلالي حقيقة (وضعها الأول) ومجازاً (مسارها الدلالي): ومن المجاز: (أَدْهن في الأمر، وداهن: صانع ولاين. ودهَنَ المطرُ الأرض: بلها بلاً يسيراً. وناقة دهين: قليلة اللبن. وما وردنا إلا المداهن وهي نقر الماء. وفي الحديث "نشِف المُدهُن ويبِس الحِعثِن". ودَهَن الأرضَ: دملها. ودهنه بالعصا، كما تقول: مسحه بالعصا. ومسحه بالسيف: ضربه. وما أدهنتَ إلا على نفسك أي ما أبقيت إلا عليك) أساس البلاغة، للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ص١٣٨، تحقيق الأستاذين: عبدالرحيم محمود، وأمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ولقد أمَضَّني فراغُ المكتبة العربية من هذا المعجم التأريخي أيما إمضاض؛ لما يترتب على خُلُوّهَا منه من نقائصَ علمية وأدبية لا حصر لها، وهذا ما أثر في جوانب لغوية عديدة منها:

- كون معظم ألفاظ اللغة العربية واصطلاحاتها غُفلاً من أي مِيسم تأريخي.

- افتقاد الباحثين والمهتمين لحلقات وقناطر الصيرورة الدلالية والسيرورة التأريخية اللغويتين العربيتين.

- انقطاع استحضار الحمولات العلمية والثقافية للكلمة أثناء سفرها اللامتناهي في الزمان والدلالة.

ولأن مشروع المعجم التأريخي هو مشروع أمة، وعمل ينوءُ به العصبةُ أولو القوة من المجامع اللغوية جماعاتٍ، والمؤلفين المعجميين فُرادَى، لم أشأ إلا أن أرميَ بحجري في هذا النهر الساكن الآسن، وأسهم _ولو بحبة خردل_ في هذا المشروع الحضاري المِلْحَاحِ الأهمية، إذ بادرت إلى جمعِ ورصد بعض التحولات الدلالية الأساسية وتنويع حقول الاستشهاد والتدرج في التأريخ الدلالي للشاهد، وذلك لزهاء ثلاثة آلاف شاهد أزعم أنها تصور جوانب مهمة من الفسيفساء العلمية والثقافية والحضارية للغة العربية منذ نزول القرآن الكريم إلى اليوم. لقد جمع "معجم الشواهد" في موسوعة "المستكشف" _أول مرة في تاريخ المعاجم العربية حسب علمي المتواضع_ هذا العددَ من الشواهد المتدرجة التأريخ والمختلفة الدلالة إذ جمعتْ هذه

الشواهد بين (الشرعي والأدبي والتأريخي والفلسفي والعلمي ...إلخ)، مما يمكن عَدُّهُ تحوّلاً في إيراد الشاهد في المعاجم العربية (التحول من الشاهد القاعدي إلى الشاهد الثقافي التأريخي النسبي).

وإطلاعاً للقارئ على نماذج من هذه الشواهد، ومنهجي فيها أورد النماذج الآتية:

الشواهد ذات الحمولة الشرعية[1]:

بَرَأ الله الشيء: خلقه، واسْتَبْرَأَ الرجل المَرْأةَ: لم يَطَأْهَا حتى تَحِيضَ.

١- وقد نقل القرآن الكريم الكلمة من معناها الأصلي العام، إلى دلالة أرحب "البرء" (الخلق)، بما فيه اسم الله "البارئ"، يقول الله تعالى: (٤هـ-٢٣هـ) (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الحشر ٢٤، مدنية.

٢- ومع تطور الفقه الإسلامي ولا سيما في باب الطهارة والنكاح والطلاق، ظهرت دلالات جديدة للمادة (الاستبراء من البول)، يقول صلى الله عليه وسلم: "أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول..." (البخاري).

٣- وفي دلالة (الاستبراء من الحيض)، يقول الشافعي (م و) في التحديد الشرعي لذلك: (قلت فتكون معتدّة لا بحيض ولا بشهور ولكن باستبراء قال نعم إذا آنست شيئاً تخاف أن يكون حملاً، قلت وكذلك التي تعتدّ بالشهور وإن ارتابت كفت عن النكاح قال نعم قلت لأن البريئة إذا كنت مخالفة غير البريئة) الأم للشافعي الخَاسِئُ: خَسَأَ الكَلْبَ: طَرَدَهُ.

---

١. انظر موسوعة المستكشف، ص١٧٢٠ - ١٧٩٩.

٤- وقد أضفى القرآن الكريم دلالة طرد وخسران أكبر على المادة ، عندما يواجه أهل النار بذلك الطرد ويقال لهم (٩-٢٣هـ) ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ المؤمنون ١٠٨ – مكية.

ساءَهُ: فَعَلَ به ما يَكْرَهُ.

الشواهد ذات الحمولة الثقافية الأدبية غالباً:

بَدَأَ به: ابْتَدَأَ، . و . الشَّيْءَ: فَعَلَهُ ابْتِدَاءً.

١- ومع انبثاق التقعيد والتنظير لكلام العرب وظهور علم النحو والقواعد، اتخذت هذه المادة معنى جديداً (المبتدأ والابتداء)، وعن ذلك يقول سيبويه بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٤٨ - ١٨٠هـ/٧٦٥ - ٧٩٦م)

(واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ) الكتاب.

٢- بيد أن تطور الدلالة وتشعبها، واكب تطور علوم ومعارف أخرى، وهكذا ظهر– مع تطور الفلسفة ونقل التراث الفلسفي الإغريقي وغيره إلى العربية، مفهوم معرفي ووجودي جديد (المعارف المبدئية/ مبادئ الوجود)، وهو ما يذكره الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ/٨٧٤ - ٩٥٠م).

(فعلى هذه المثال نرتقي من علوم الأشياء المتأخرة عن مبادئ الوجود إلى اليقين بالأشياء التي هي مبادئ أقدم وجوداً، فإن كان مبدأ الوجود الذي صرنا إليه بهذا الطريق له مبدأ آخر أعلى منه وأبعد من الأول جعلنا ذلك مقدماً وارتقينا منه إلى مبدأ لمبدأ) تحصيل السعادة الفارابي.

٣-ومع تراكم وتعمق الدراسات النحوية والتقعيدية العربية، نجد بعض المؤلفين يعود إلى الدلالة النحوية (المبتدأ) بمزيد من التفسير مشيراً إلى طريقة وسر اشتقاقها، يقول أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ/ ٩٢٩ محمد بن السري بن سهل): (المبتدأ : ما جردته من عوامل الأسماء ومن الأفعال

والحروف، وكان القصد فيه أن تجعله أولاً لثانٍ مبتدأ به دون الفعل يكون ثانيه خبره ولا يستغني واحد منهما عن صاحبه، وهما مرفوعان أبداً فالمبتدأ رفع بالابتداء والخبر رفع بهما) الأصول في النحو.

٥- المعجم الإحيائي:

في هذا المعجم سعيت إلى تتبع ما أراه ثغراتٍ استعماليةً يحسها المستعمل المتوسط للفصحى المعاصرة، متبعاً منهجاً يعتمد الخطوات التالية:

- تحديد الثغرة الاستعمالية (تَبَيُّنُ طبيعة الثغرة من خلال سؤال افتراضي مؤداه: بماذا تعبر اللغة عن ثغرة استعمالية يجدها مستعمل الفصحى المتوسط).
- اقتراح سدّ الثغرة الاستعمالية (تصنيف الثغرة الاستعمالية وتشخيص الضعف التعبيري المحتمل للمستعمل المتوسط للفصحى المعاصرة).
- مراعاة سهولة سدّ الثغرة الاستعمالية (قصراً وسهولةَ نطق، ودقةَ وصف).

لقد سعيت في هذا "المعجم الإحيائي" إلى الابتعاد عن التنظير العام لغنى اللغة العربية المجسد في معاجمها؛ إذ جرت سنة اللغويين والكتاب على ذلك (هذه مقدمة الصحاح للجوهري، أول مقدمة من نوعها في تاريخ معجماتنا العربية، إذ لم يسبق تقديم معجم عربي بمقدمة مثلها في استقصائها لتاريخ المعجمات في لغتنا، وإلمامها بتاريخ المعجمات في اللغات الأخرى، وقد أفرد فيها الكاتب الباحث نبذة حسنة لترجمة الجوهري صاحب الصحاح، ولكنها _فيما عدا هذه النبذة_ تصلح أن تكون مقدمة تامة للصحاح ولسائر المعجمات العربية في جملتها؛ لأنها تغني القارئ بما

اشتملت عليه من المعلومات والآراء فيما يتحرّاه من التوسع والإفاضة إذا شاء)[1]، إنما تحتاجه معاجم الفصحى هو التركيز على الجوانب التطبيقية لهذا الغنى الدلالي الذي طمره الترتيب الهجائي الاعتباطي، وفصل جوانب منه ووضحها التصنيف الدلالي الذي اتبعناه في موسوعة "المستكشف"[2].

لقد بوأ القرآن الكريم اللغة العربية مكانة قعساء، وكفل لها الانتشار في الآفاق في فترة وجيزة قياساً إلى فترات انتشار اللغات الأخرى (الحمد لله الذي جعل هذا اللسان نوراً للأذهان ووسيلة للعرفان وأنطق به ألوفَ ألوفٍ من ذوي القدر والشأن، والتاج والصولجان، في كل مكان وزمان فاشتغلوا بعلومه حتى شُغلوا عن ملاذ الأبدان وتنافسوا فيه كما يُتنافس في الحسان، ودونوا فيه كتباً لم تزل مَتْلُوَّةً إلى الآن، مع حُؤول الأحوال وتعاقب الأزمان، وتتابع الفتن وتتابع المحن والعدوان فيمكن أن يقال بالبرهان).[3]

بيد أن السعي يجب أن يبقى حثيثاً إلى عصر إحيائي وإنهاضي للغة العربية يستقوي بزادها اللغوي الوفير، على أن يقدم بطريقة أكثرَ منهجيةً وأكثر قرباً إلى عصرنا المرتهن بالأرقام والمسكون بعصر السرعة الفلكية انطلاقاً من

---

١. مقدمة الصحاح، تأليف أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت.

٢. من نماذج الاكتفاء بذكر غنى اللغة العربية واتساعها للمعارف والعلوم (وهذا متفق عليه) ما تمتلئ به مقدمات معاجم وكتب اللغة، انظر نماذج من هذه المقدمات (مقدمة تهذيب الأزهري ومقدمة الصحاح ومقدمة أساس البلاغة للزمخشري ومقدمة لسان العرب وخطبة القاموس المحيط للفيروزآبادي ...الخ تجد كل هذه المقدمات تجمع على هذا الثراء دون أن تتبع نهجاً استكشافياً تطبيقياً في المعاجم العربية يميط اللثام عن هذا الثراء، بل اكتفت هذه المعاجم بمراكمة المادة اللغوية حسب الترتيب الهجائي، ولكنهم معذورون، وقد أوفوا بما يستطيعون حفظاً للغة وإثباتاً لها في المتون المعجمية. والآن حان الوقت لتسلم الراية منهم، وإضافة الجديد إلى عملهم الجديد بدل لوكه واجتراره فقط.

٣. الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس الشدياق، ص٢، المكتبة الكويتية الثقافية، الكويت.

معايير ومقومات محددة، إذ (ما دام لكل لغة أو لهجة مستواها الصوابي الخاص، فلا بد لمن يريد التكلم بلغة أو بلهجة غير لغته أو لهجته أن يتعلم مطابقة جميع عناصر مستواها الصوابي، من أصوات، ومفردات، وصيغ، وطرق تركيب جمل، ونبر، وتنغيم، وإشارات باليدين، والوجه أثناء الكلام، وطرق استجابته لما يسمع، وهلم جرا).[1]

ولعل من البداهة الإشارة إلى أن هذا الجهد الإحيائي للفصحى يجب أن يراعي درجات المتعلمين والناطقين باللغة، ليوفر لغة تناسب كل الثقافات والأجيال إذ (يرى بعض علماء النمو وبصفة خاصة عالم النفس السويسري جان بياجيه نتيجة لدراساته وتجاربه العديدة على الأطفال؛ أن الطفل يحقق عن طريق حديثه، وعلى الأخصّ خلال السنوات المبكرة من عمره رغبته في التحدث أولاً وقبل كل شيء لنفسه وعن نفسه لا للآخرين).[2]

لقد حرصت على تخصيص جزء من موسوعة المستكشف لهذا المعجم الإحيائي الدلالي، لكشف الغطاء عن جوانب من ثراء الفصحى وقدرتها على التعبير عن كل جوانب الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية التي تعيشها مجتمعاتنا العربية المعاصرة، وغير مجتمعاتنا من الناطقين بالعربية.

ويحس المتأمل ألماً بالغاً وهو يرى هذه اللغة العربية تُهادَى بين اللغات الأوروبية الحديثة وتوصم بالعجز والقصور، بينا هي براء من ذلك، لما يوفره معجمها من ثراء لا حدود له ولما تكشفه _بصورة خاصة_ حقولها الدلالية من دقة وصفية خارقة[3].

---

١. اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، ص٥٩، مكتبة الأنجلو المصرية.

٢. اللغة عند الطفل تطورها ومشاكلها، إعداد الدكتورة ليلى أحمد كرم الدين، ص١١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٣. للاطلاع على هذا الثراء في الحقول الدلالية انظر موسوعة المستكشف مثلاً ص٣٥ – ٤٥٠.

وتمثيلاً لهذا المعجم الإحيائي أورد النماذج الآتية من موسوعة "المستكشف":

نماذج من الثغرات الاستعمالية وأمثلة لسدّها[1]:

التعبير المقترح لسدّ الثغرة الاستعمالية المعاصرة	سؤال تحديد الثغرة الاستعمالية	وجاهة الاقتراح
أَكَأَ: اسْتَوْثَقَ مِنْ غَرِيمِهِ بالشُّهُودِ (للغة التوثيق القانونية).	كيف تعبر اللغة عن الاستيثاق بالشهود؟	التعبير بفعل واحد (أَكَأَ) مقبول من الناحية الصوتية عن حالة اقتضاء تعبيري قانوني.
بارأ المرأة: صالحها على الفراق (للغة الأحوال الشخصية).	كيف تعبر اللغة عن مصالحة المرأة على الفراق؟	التعبير بفعل واحد شائع الاستعمال (بارَأَ) عن اقتضاء شرعي وقانوني مُلِحٍّ.
تَسَيَّأَ فُلانٌ بِحَقِّي: أَقَرَّ به بَعْدَ إنْكَارِه (للغة القانونية).	كيف تعبر اللغة عن حال من أقر بعد إنكار؟	التعبير بفعل واحد عن اقتضاء تعبيري واضح.
"وقَعُوا في أُمِّ جُنْدَبٍ" أي: ظُلِمُوا (للغة التظلم).	كيف تعبر اللغة عن واقع مرارة الظلم؟	تعبير يصف مرارة الظلم.
فَصْلُ الخِطابِ: الحُكْمُ بالبَيِّنَةِ، أو اليَمينِ، أو الفِقْهُ في القَضاءِ، أو النُّطْقُ بأمَّا بَعدُ (للغة القضاء).	كيف نعبر عن كل هذه الاقتضاءات التعبيرية بكل اختصار؟	تعبير يصف التمكن من كل الأمور الموصوفة، وتقتضيه مناحي التعبير المختلفة التي جمعها هذا التعبير.
تَرَبَّبَ الرجلَ والأرضَ: ادَّعى أنه رَبُّهُما (للغة العقارات).	كيف تعبر اللغة عن ادعاء المُلكية؟	اقتضاء الادعاء.
الرُّقْبَى: أن يُعْطِي إنْساناً	كيف تعبر اللغة عن	اقتضاء التعبير عن حالة معيشة في

١. انظر موسوعة المستكشف ص١٣١٢ - ١٤١١.

مِلْكاً، فأَيُّهما ماتَ رَجَعَ المِلْكُ لِوَرَثَتِهِ، أو أنَ يَجْعَلَهُ لِفُلانٍ يَسْكُنُهُ، فإن ماتَ فَفُلانٌ (للغة التمليك).	لغة التحبيس والتوريث المتعاقب؟	كل المجتمعات يكون فيها التعبير مركباً ومتسلسلاً.
و"الجارُ أحَقُّ بصَقَبِهِ"، أي: بما يَليهِ ويَقْرُبُ منه (للغة التواصل الإنساني).	كيف تعبر اللغة عن لغة التواصل والتجاور الأقرب؟	اقتضاء التعبير عن نوع معين من التجاور.
الْأَعْضبُ: مَنْ لا ناصِرَ له. والقَصيرُ اليَدِ (للغة العلاقات الإنسانية).	كيف تعبر اللغة عن هذه الحالة الإنسانية البالغة الألم؟	اقتضاء التعبير عن حالة من حالتين: الفقر وخذلان الآخرين.
تَناحَبوا: تواعدوا لِلقتالِ إلى وقْتٍ مّا (للغة القتال).	كيف تعبر اللغة عن توقيت القتال؟	اقتضاء لغوي يتطلبه موقف كهذا.
المُفْرَجِ: القتيلُ يوجَدُ في فَلاةٍ بعيدةٍ من القُرى والذي يُسْلِمُ ولا يُوالي أحداً (لغة القتل والولاء).	كيف تعبر اللغة عن قتيل لا يعرف قاتله، ومن أسلم ولم يوالِ أو يحالف جماعة أو قبيلة معينة؟	اقتضاء التعبير عن انعدام معرفة القاتل وانعدام الحليف لمن أسلم حديثاً.
الفُيُوجُ: الذينَ يَدْخُلونَ السِّجْنَ ويَخْرُجونَ، ويَحْرُسونَ (لغة السجون).	كيف تعبر اللغة عن حالة المساجين وحراسه؟	اقتضاء التعبير عن الترابط بين السجن والسجناء في هذه الحالة.
تَجاوَدُوا: نَظَروا أَيُّهُم أجْوَدُ حُجَّةً (للغة التقاضي).	كيف تعبر اللغة عن أجودية الحجة؟	اقتضاء التعبير عن أجودية الحجة.
الحَشِدُ: من لا يَدَعُ عند نفْسه شيئاً من الجَهْدِ والنُّصْرَةِ والمالِ (للغة المناصرة والمناوأة).	كيف تعبر اللغة عمن لا يخطط لمستقبله؟	اقتضاء التعبير عن اللامبالاة في تدبير الحياة.

رجُلٌ مَحْشودٌ: مُطاعٌ يَخِفُّونَ لِخِدْمَتِهِ (للغة المناصرة).	كيف تعبر اللغة عن أمر الطاعة الجاهزة؟	اقتضاء التعبير عن وصف الرجل المطاع من قومه.
الهَدْهادُ: صاحِبُ مسائلِ القاضي (للغة التقاضي).	كيف تعبر اللغة عن مساعدي القاضي؟	اقتضاء التعبير.
تَنافَذُوا إلى القاضي: خَلَصوا إليه، فإذا أدْلَى كُلٌّ منهم بِحُجَّتِه، فيقالُ: تَنافَذوا (للغة التقاضي).	كيف تعبر اللغة عن الإقبال على القاضي للإدلاء بالحجة؟	اقتضاء تعبير التقاضي.
الثَّأْرُ المُبِيمُ: الذي إذا أصابَهُ الطالِبُ رَضِيَ به، فَنَامَ بعدَه (للغة الثأر).	كيف تعبر اللغة عن الارتياح بأخذ الثأر؟	اقتضاء تعبير أخذ الثأر.
الطَّعْرُ: إجْبارُ القاضي الرجلَ على الحُكْمِ (للغة القضاء).	كيف تعبر اللغة عن تنفيذ أحكام القضاء؟	اقتضاء اللغة القضائية التعبيري.
يأكلُ على ظَهْرِ يدي، أي: أُنْفِقُ عليه (للغة الإعالة).	كيف تعبر اللغة عن لغة التكافل؟	اقتضاء التعبير عن حالة تكافلية.

٦- معجم المستغرب اللفظي

في "معجم المستغرب" من موسوعة "المستكشف" سعيت إلى تحديد جزء معين من "مادة الاستغراب اللغوي" في القاموس المحيط للفيروز آبادي، مُؤْثِرًا استعمالَ اصطلاح "المُستغرَب" بدل اصطلاح "الغريب" الذي تواضع عليه اللغويون العرب القدامى؛ لنسبية الغرابة اللغوية نفسها من محيط ثقافي معين إلى محيط ثقافي آخر، ومن عصر معين إلى عصر آخر؛ مما ينتج عنه تَمَيُّعُ الاصطلاح نفسه (إذ ما قد يعد في عصر صدر الإسلام من الألفاظ

الأليفة مثلاً قد يعد بعضه في العصر العباسي والأعصر اللاحقة غريباً وهكذا...).

وتمثيلاً لاختلاف الغرابة اللفظية حسب الأزمان والثقافات أقترح على القارئ أن يقرأ معي: (والمسائح أطراف الشعر حيث يمسح الإنسان بيده، والقمحدوة: منحدرة القفا عن أعلى الرأس، وجمعه قماحد، قال الشاعر:

فإن يقبلوا نطعن ثغور نحورهم ** وإن يدبروا نضرب أعالي القماحد

والقذال: القفا، والمقذُّ: مقاطع الشعر).[1]

ويقرأ _أيضاً معي_ تمثيلاً لما أشرت إليه من نسبية الألفة والغرابة حسب عصر المتلقي وثقافته: (فالحال واحدة، وذلك نحو قردود، وسحتيت، وصهميم، وقرطاط، وصفنات (وعثوثل) (واعشوشب واخلولق).

فهذا حكم المثلين يجيئان مع الأصلين.

وكذلك إن جاءا بعد الثلاثة الأصول؛ وذلك نحو قفعدد، وسهلل، وسبحلل، وهرشف، وعربد، وقسحب، وقسقب، وطرطب)[2].

---

١. نظم الغريب في اللغة، لعيسى بن إبراهيم بن عبدالله الربعي الوحاظي الحميري، ص٢٣، تحقيق: محمد ابن علي الأكوع الحوالي، دار المأمون للتراث دمشق، بيروت.

٢. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، ج٢، ص٥٩، حققه: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر.

لقد جَهِدتُ في معجم المستغرب من أجل جدولة وتصنيف وترتيب وتبويب ما يقارب ألفي مادة مستغربة، وحاولت أن أقارب هذا المعجم الاستغرابي مقاربة مختلفة عن المنهج الذي كان متبعاً في معاجم العربية وكتب اللغة، مركزاً على جملة من النقاط منها:

- جرد وإحصاء ما يزيد على تسعة وسبعين وزناً مستغرباً من المادة اللغوية.

- عدت إلى مصادر لغوية كبرى (مثل الكتاب لسيبويه) لتأصيل هذه المقاربة[1]، على الرغم أن المنطلقين المنهجيين مختلفان (منطلق سيبويه هو منطلق صرفي غايته إيراد أكثر الأوزان الصرفية قلة: عد منها واحداً ومائة وزن، ممثلاً لكل وزن بمثالين أو أكثر فقط)، أما منطلق "المستكشف" فهو منطلق دلالي وصوتي وصرفي: إذ أحصى ما يزيد على تسعة وسبعين وزناً من هذه الأوزان التي أسميها أوزاناً غير صيغية، وعَدَّدَ موزونها _أول مرة_ حسب علمي المتواضع.

---

١. باب معرفة بنات الأربعة التي لا زيادة فيها: فمنها ما يكون على (فَعْلَل)، فيكون اسماً وصفة. فالاسم نحو جعفر، ونهْشل والنعت، مثل سلجم، وسلهب.ويكون على (فُعْلُل) فيهما. فالاسم؛ نحو البرثن، والترتم.والصفة، نحو قولك رجل قلقل، وناقة كحكح. ويكون على فِعْلِل فيهما، فالاسم الزِبرج والخمخم. والنعت اللطلط وهو قليل.ويكون على (فِعْلَل) فيهما. فالاسم درهم. والصفة (هجرع) المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، ج١، ص٦٦، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت.

إن نظرتي إلى المادة اللغوية المستغربة، ليست نظرة معيارية، وإنما هي نظرة وصفية، إذ توخيت في هذا المعجم الاستغرابي أن أقدم هذه المادة اللغوية لا على أساس أنها ذخيرة لغوية وتُكَأَةٌ احتياطية للفصحى ـ كما يرى بعضهم ـ أو خُشارة أو نُفاية يجب أن تُسحى منها الفصحى ـ كما يرى بعضهم الآخر ـ.

إن للغريب اللغوي مساراً بحثياً قديماً في الدراسات اللغوية القديمة، وهكذا تناول اللغويون من غريب اللغة وغريب القرآن وغريب الحديث نتفا مختلفة[1]، وقد عني اللغويون بجوانب مختلفة من هذا الغريب منها: تصنيف لفظ الغريب نفسه ونسبته إلى أصله من مستعمليه من القبائل العربية التي بقيت منها أَثَارَاتٌ مع اللغة القرشية التي سَوَّدها القرآن الكريم، ومنها استيحاش الكلمة الواردة في الشعر أو الخُطب أو الوصايا وطولها وتنافر حروفها... إلخ.

وعلى الرغم أن ما ورد في القرآن الكريم من لغة قريش وقليل من لغات العرب الأخرى كان الأفصحَ والأروعَ، ولكن ذلك لا يمنع من استغراب بعض

---

١. من المصنفات في غريب القرآن نذكر: الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، حققه وقدَّم له محمد المختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات – بيت الحكمة .. كتاب (تفسير غريب القرآن) أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، مكتبة الهلال – بيروت.. كتاب (نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز) لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ)، حققه الدكتور يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة – بيروت .. كتاب (تفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، دراسة وتحقيق: هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي.

الكلمات الواردة في القرآن الكريم خاصة من لغات قبائل العرب الأخرى، ومن ذلك ما نسب إلى نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر؛ إذ أرادا أن يسألا عبدالله ابن عباس عن بعض الغريب في القرآن: (فقاما إليه، فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين.

فقا ابن عباس: سلاني عما بدا لكما).[1]

كذلك ورد الغريب في الحديث النبوي الشريف، ولكنه لم ينحُ منحى الاستيحاش والمعاظلة[2]، وإنما كانت نسبية الغرابة نفسها منطبقة على مفهوم الغريب نفسه؛ إذ لا يعقل أن يخاطب النبي ـصل الله عليه وسلمـ الناس إلا بما يفهمون (مراعاة حال المتلقي) ومع ذلك نتحفظ على استغراب نماذج من هذا الغريب بل نراه كان أليفاً في عصره ومماشياً لثقافة ذلك العصر: (روى أنه كتب له: من محمد رسول الله إلى الأقيال العَباهِلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، على التيعة شاة، والتيمة لصاحبها، وفي

---

١. غريب القرآن لحبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، نص المحاورة التي دارت بفناء الكعبة بين نافع بن الأزرق وابن عباس، ونقلها السيوطي في الإتقان، ص٢١، و٢٢، عرض وتقديم وتحقيق: محمد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢. وصف اللغويون اللفظ الغريب وأضفوا على ذلك الوصف جوانب صوتية مثل تنافر الحروب واستثقال مخارجها وجوانب دلالية مثل بذاءة المعنى، يمكن التمثيل للغريب المستوحش من ناحية تنافر الحروف:

فَعْيَلَ: (عَذْيَط): قال أبو عثمان: ويقال عذيط الرجل عذيطة: إذا أحدث عند غشيان النساء، وهو العِذيَوط.

افعَنْلَلَ: (اعلنْكَس): قال أبو عثمان: اعَلنْكَسَ الشَّعَر واعلنْكَكَ: إذا تراكب واجتمع.

ويقالُ أيضا: اعلنكس: إذا اشتد سواده. (كتاب الأفعال، لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي (ت بعد ٤٠٠ هـ)، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مراجعة: د. محمد مهدي علام، ج١، ص٣٢٤، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

السيوب الخمس، لا خِلاط ولا وِراط، ولا شِناق ولا شِغَار، ومن أجبى فقد أربى، وكل مسكر حرام).[1]

لقد أسلفنا أن سيبويه وغيره من اللغويين تناولوا أوزاناً من الغريب صيغةً ودلالةً وسببَ غرابة[2].

---

١. الفائق في غريب الحديث، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الجزء الأول، ص١٤، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢. من هذه الأوزان الغريبة وأسباب الغرابة للألفاظ:

أولاً: طول الكلمة: "وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء والأفعال، وغيرهما مزيداً فيه وغير مزيد فيه؛ وذلك لأنه كأنه هو الأول فمن ثم تمكن في الكلام، ثم ما كان على أربعة أحرف بعده، ثم بنات الخمس وهي أقل لا تكون في الفعل البتة ولا يكسر بتمامه للجمع لأنها الغاية في الكثرة، فاستثقل ذلك فيها؛ فالخمسة أقصى الغاية في الكثرة، فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمسة لا زيادة فيها ولا نقصان، والخمسة أقل الثلاثة في الكلام".

ثانياً: تنافر الحروف: (فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابياً سئل عن ناقته فقال: "تركتها ترعى الهعخع"، ومنه ما هو دون ذلك كلفظ "مستشزر" في قول امرئ القيس: غدائره مستشزرات إلى العلا).

ثالثاً: قبلية اللغة: وَكَانَتْ قريش، مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقَّة ألسنتها، إِذَا أَتتهُم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أَحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع مَا تخيّروا من تِلْكَ اللغات إِلَى نَحائرهم وسَلائقهم الَّتِي طُبعوا عَلَيْهَا. فصاروا بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد فِي كلامهم عَنْعَنَة تَميم ولا عَجْرفيّة قَيْس ولا كَشْكَشَة أَسَد ولا كَسْكَسة رَبيعةَ ولا الكَسْر الَّذِي تسمَعه من أسدَ وقَيْس مثل: "تعلِمون" و "نِعلَم" ومثل "شعير" و"بِعير"؟.

رابعاً: الدلالة البذيئة للكلمة: يرى ابن العميد أن من أسباب استغراب الكلمة، هجران العرب لها لاستعمالهم إياها في دلالة بذيئة.

(موسوعة المستكشف الصفحات)

٢ – أَفْعَلى، مثل: أبجلى.
– أُفْعُلَّة، مثل: أسكفة.
– إفعِلان.
– أفعَلان.

وضع سيبويه مجموعة من الأسباب والأوزان تغلب على الألفاظ الغريبة ذاكراً أوزاناً عدة من ذلك.[1]

وكذلك تناول ابن سلام أوزان الغريب ودلالاته: (اللعمظ: الشهوان الحريص، من قوم لعامظة.

قال أبو زيد: هو اللعمظ واللعموظ، يقال: رجل لعموظ، وامرأة لعموظة، وجمعه: لعامظة. الفراء: هو اللعمظ أيضاً. الفراء: رجل لعوٌ ولعًى منقوص مثل اللعمظ، وهو الشره الحريص)[2].

ولقد انصرف كثير من علماء العربية إلى دراسة الأوزان الصيغية المعروفة، ولم يركزوا ــبما فيه الكفايةــ على الأوزان غير الصيغية التي كان من "سوء

- إفعلاء، مثل: إربعاء.
- "وتلحق الهمزة غير أول وذلك قليل؛ فيكون الحرف على فعلإ، مثل ضهيإ صفة وضهيإ اسم، وعلى فُعائل مثل: حُطائط، وخرائض، وفعأل قالوا: شمأل وشأمل، وهو اسم".
- أفعِل، مثل: أَصبِع
- "وأما الصفة فنحو الإسكاف، وهو في الصفة قليل، ولا نعلمه جاء غير هذا".
- "ويكون على الإفعالّ، مثل: الإسحارّ، ولا نعلمه جاء اسماً ولا صفة غير هذا".

١ - أَفْعَلِي، مثل: أبجلى.
- أُفْعُلَّة، مثل: أسكفة.
- إفعِلان.
- أفعَلان.
- إفعلاء، مثل: إربعاء.
- "وتلحق الهمزة غير أول وذلك قليل؛ فيكون الحرف على فعلإ، مثل ضهيإ صفة وضهيإ اسم، وعلى فُعائل مثل: حُطائط، وخرائض، وفعأل قالوا: شمأل وشأمل، وهو اسم".
- أفعِل، مثل: أَصبِع.
- "وأما الصفة فنحو الإسكاف، وهو في الصفة قليل، ولا نعلمه جاء غير هذا".
- "ويكون على الإفعالّ، مثل: الإسحارّ، ولا نعلمه جاء اسماً ولا صفة غير هذا"، (موسوعة المستكشف الصفحات) .

٢. الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ج١، ص٩٠، حققه وقدَّم له: محمد المختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة.

حظها" أن كانت من حظّ الغريب، ومن أمثلة تركيزهم على تلك الأوزان الصيغية (أفعل التفضيل): (وأما عدله: فقال أكثر النحويين: إنه معدول الألف واللام، لأن الأصل في أفعل التفضيل أن لا يجمع إلا مقروناً بهما كالكبر والصغر فعدل عن أصله، وأعطي من الجمعية مجرداً ما لا يعطي غيره إلا مقروناً، فهذا عدل الألف واللام لفظاً، ثم عدل عن معناهما، لأن الموصوف به لا يكون إلا نكرة، وكان حقه إذا عدل عن لفظها أن ينوي معناها مع زيادة، كما نوى معنى اثنين في (مثنى)).[1]

ومن أمثلة تركيزهم على تلك الأوزان الصيغية أيضاً (الصفة المشبهة باسم الفاعل مثلاً): (هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه، ولم تقوَ أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع، فإنما شبهت بالفاعل فيما علمت فيه.

وما تعمل فيه معلوم، إنما تعمل فيما كان من سببها معرفاً بالألف واللام أو نكرة، لا تجاوز هذا؛ لأنه ليس بفعل ولا اسم هو في معناه).[2]

إن بعضاً من أهمية معجم المستغرب في موسوعة المستكشف تكمن في جرده الاستقرائي للأوزان الأكثر غرابة، ولكنها أوزان يمكن أن تكون أوزاناً صيغية، تضاف إلى الأوزان الصيغية المعروفة، ولئن كنت لا أنوي في هذه المرحلة من البحث أن أقترح صيغاً صرفية جديدة لهذه الأوزان، فإني أرى أنه

---

١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للإمام جلال لدين السيوطي، ج١، ص٨١، تحقيق وشرح: أ.عبدالسلام محمد هارون و د. عبدالعال سالم مكرّم، دار البحوث العلمية، الكويت.

٢. الكتاب: كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ج١، ص١٩٤، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار القلم، ١٩٦٦.

يجدر بنا أن نتأملها بوصفها الجانب الآخر من أوزان العربية المُتَكَلَّمِ عنها لماماً في كتب النحو والصرف والمسكوت عنها بما تمثله من ثقل لغوي واسع في اللغة العربية (تسعة وسبعين وزناً في موسوعة المستكشف)، وتمثيلاً لهذه الأمثال أورد النموذجين الآتيين:

أ- الوزن المستغرب الخامس عشر: الفُنْعُلُ[1]

الرقم العددي للمادة	الاسم	الدلالة	الخصائص الصوتية
١)	الخُنْجُبُ:	اليابِسُ من كلِّ شيءٍ	الطول والتنافر
٢)	الكُنْثُرُ:	المُجْتَمِعُ الخَلْقِ، وحَشَفَةُ الرَّجُلِ	الطول والتنافر والبذاءة
٣)	العُنْبُطُ:	القصيرُ اللَّحِيمُ	الطول والتنافر
٤)	الخُنْفُعُ:	الأَحمقُ	"
٥)	الصُّنْتُعُ:	الحِمارُ الصغيرُ الرأسِ	"
٦)	الصُّنْتُعُ:	النَّعامُ الصُّلْبُ الرأسِ	"
٧)	القُنْدُعُ:	الدَّيُّوثُ	"
٨)	القُنْفُعُ:	القَصيرُ الخَسيسُ، والفأرَةُ	"
٩)	الكُنْتُعُ:	القصيرُ	"

١. موسوعة المستكشف ص١٨٦١ إلى ٢٠٠٦.

١٠)	الهُنْبُغُ:	شِدَّةُ الجُوعِ	"
١١)	العُنْجُفُ:	اليابِسُ هُزالاً، والقصيرُ المُتَداخِلُ	"
١٢)	الخُنْبُقُ:	البَخيلُ الضَّيِّقُ	"
١٣)	النُّعْبُقُ:	الأَحْمَقُ	"
١٤)	الهُبْنُق:	الوَصيفُ من الغِلْمانِ	"
١٥)	الدُّنْدُكُ:	تَيْسٌ إذا مَشَى تَرَجْرَجَ لَحْمُهُ سِمَناً	"
١٦)	الجُنْبُلُ:	قَدَحٌ غَليظٌ من خَشَبٍ	"
١٧)	الجُنْجُلُ:	بَقْلَةٌ كالهِلْيَوْنِ، تُؤْكَلُ مَسْلُوقَة	"
١٨)	الصُّنْبُلُ:	الداهي المُنْكَرُ	"
١٩)	العُنْبُلُ:	البَظْرُ	الطول والتنافر والبذاءة
٢٠)	العُنْتُلُ:	الصلب الشديدُ، والبَظْرُ، لُغَةٌ في العُنْبُلِ	"
٢١)	العُنْجُلُ:	الشيخُ إذا انْحَسَرَ لَحْمُه، وبَدَتْ عِظامُه	الطول والتنافر
٢٢)	العُنْجُلُ:	عَناقُ الأرضِ	"

٢٣)	الفُنْجُلُ:	عَناقُ الأرضِ	"
٢٤)	الفُنْجُلُ:	العَبْد	"
٢٥)	الكُنْبُل:	الصُّلْبُ الشَّديدُ	"

ب- الوزن المستغرب الثالث والعشرون: الفُعَالِلُ

الرقم العددي	الاسم	الدلالة	الخصائص الصوتية
١)	الجُلاَعِدُ:	الجَمَلُ الشديدُ	الطول والتنافر
٢)	الدُّبادِبُ:	الرجُلُ الضَّخْمُ، والكثيرُ الصِّياح..	"
٣)	الغُنافِرُ:	المُغَفَّلُ	"
٤)	مَكانٌ غُضارِبٌ:	كثيرُ النَّبْتِ والماءِ	"
٥)	الدُّل امِثُ:	السَّرِيعُ	"
٦)	العُضافِجُ:	الصُّلْبُ الشَّديد، أو الضَّخْمُ السَّمينُ	"
٧)	الغُماهِجُ:	الضَّخْمُ السَّمينُ	"
٨)	الكُنافِجُ:	الكثيرُ من كُلِّ شيءٍ، والسَّمينُ المُمْتَلِئُ، والمُكْتَنِزُ من السَّنابِلِ	"
٩)	الهُزامِجُ:	الصَّوْتُ المُتدارِكُ	"
١٠)	الجُلادِحُ:	الطويلُ	"
١١)	الصُّمارِحُ:	الخالِصُ	"
١٢)	الصُّمادِحُ:	الْأَسَدُ	"
١٣)	الضُّبارِزُ:	المُضَبَّرُ الخَلْقِ، المُوَثَّقُ	"

١٤)	العُجَالِدُ:	اللَّبَنُ الخاثِرُ	"
١٥)	رَجُلٌ كُنابِذٌ:	جَهْمٌ، ضَخْمُ الوَجْهِ، قَبيحٌ	"
١٦)	الجُحاشِرُ:	الضَّخْمُ	"
١٧)	الدُّماثِرُ:	السهلُ من الأرضِ، والجَمَلُ الكثيرُ اللحمِ	"
١٨)	الطُّحامِرُ:	البَطينُ	"
١٩)	العُذَافِرُ:	الأَسَدُ	"
٢٠)	العُراعِرُ:	الشريفُ	"
٢١)	القُناصِرُ:	الشديدُ	"
٢٢)	الكُماتِرُ:	الضَّخْمُ، والقَصيرُ، والصُّلْبُ الشديدُ	"
٢٣)	المُرامِرُ:	الباطِلُ	"
٢٤)	رجلٌ هُداكِرٌ:	مُنَعَّمٌ	"
٢٥)	الجُرافِزُ:	الضَّخْمُ العظيمُ	"
٢٦)	الحُمارِسُ:	الشديدُ، والأَسَدُ، والجَريءُ المِقْدَامُ	الطول والتنافر
٢٧)	الحُمارِسُ:	الشديدُ، والأَسَدُ	"
٢٨)	الخُلابِسُ:	الحديثُ الرقيقُ، والكَذِبُ	"
٢٩)	الخُنابِسُ:	الكَرِيهُ المَنظَرِ، والأَسَدُ	"
٣٠)	الخُنافِسُ:	الأَسَدُ	"
٣١)	الدُّخامِسُ:	الأَسْوَدُ الضَّخْمُ	"
٣٢)	الدُّرانِسُ:	الضَّخْمُ الشديدُ من الرجالِ والإِبِلِ	"
٣٣)	الدُّماحِسُ:	الأَسَد	"

٣٤)	الدِّنْافِسُ:	السَّيِّئُ الخُلُقِ	"
٣٥)	الرُّماحِسُ:	الشُّجاعُ	"
٣٦)	العُدَامِسُ:	ما كَثُرَ من يَبِيسٍ	"
٣٧)	العُكابِسُ:	الكثيرةُ من الإبِلِ	"
٣٨)	القُداحِسُ:	الشُّجاعُ	"
٣٩)	الدُّرافِصُ:	العظيمُ الضَّخْمُ	"
٤٠)	الفُرافِصُ:	الأَسَدُ الشديدُ الغَلِيظُ	"
٤١)	الجُرافِضُ:	الثقيلُ الوَخِم	"
٤٢)	الجُلاهِضُ:	الثقيلُ الوَخِم	"
٤٣)	رَجُلٌ عُلاَمِضٌ:	ثقيلٌ وَخْمٌ	"
٤٤)	عُثَالِطٌ:	خاثر ثَخينٌ	"
٤٥)	لَبَنٌ عُجالِطٌ:	خاثر ثَخينٌ	"
٤٦)	الهُطاهِطُ:	الفَرَسُ	"
٤٧)	الخُضارِعُ:	البخيلُ المُتَسَمِّحُ	"
٤٨)	الهُلابِعُ:	اللَّئيمُ الجَسِيمُ	"
٤٩)	الجُنادِفُ:	الجافي، الجَسيمُ من الناسِ والإبِلِ	"
٥٠)	الفُرانِقُ:	الأَسَدُ والذي يُنْذِرُ قُدَّامَهُ	"
٥١)	الحُباجِلُ:	القَصيرُ المُجْتَمِعُ الخَلْقِ	"
٥٢)	السُّحادِلُ:	الذَّكَرُ	الطول والتنافر والبذاءة
٥٣)	الطُّلاطِلُ:	الموت، والداءُ العُضالُ	الطول والتنافر
٥٤)	الخُثارِمُ:	الرَّجُلُ المُتَطَيِّرُ، والغَليظُ الشَّفَةِ	"
٥٥)	الطُّخارِمُ:	الغَضْبانُ	"
٥٦)	العُفاهِمِ:	الناقَةُ القَوِيَّةُ الجَلْدَةُ، ورَفاهِيَةُ	"

		العَيشِ، والعَدْوُ الشديدُ	"
٥٧)	العُجاهِنُ:	القُنْفُذُ، والذي ليس بصَرِيحَ النَّسَبِ	"
٥٨)	العُفاهِنُ:	الناقَةُ القَوِيَّةُ الجَلْدَةُ	"

خاتمة

بعد استعراضي للطريقة المنهجية الجديدة التي اتبعتها في تأليفي لموسوعة المستكشف، وإثباتي لنماذج من المعاجم الستة المؤلفة لهذه الموسوعة (معجم الحقول الدلالية والمعجم الصوتي ومعجم المتقارب الصوتي ومعجم الشواهد ومعجم المستغرب) يمكن أن أستنتج ما يأتي:

- إن اللغة العربية لا بد أن تواجه العصر بتقانة معجمية جديدة تعتمد على تراثها المعجمي الزاخر وتنفتح على الرافد التجديدي ممثلاً في تيار المعجمية العربية، والتيارات المعجمية الأوروبية الحديثة.

- لعله آن الأوان أن تستكشف الطاقات الحقيقية للفصحى المتمثلة في ثراء معجمها الدلالي، (ليس من خلال التنظير الإنشائي العام) وإنما بلغة الأرقام ودقة الأوصاف وجزئية التفاصيل (هذا ما سعت إلى تحقيق جزء منه موسوعة المستكشف).

- من الواجب التفكير الجاد والنظرة العميقة إلى البنية الصوتية والصرفية والدلالية للغة العربية، انطلاقاً مما بَجَسَتهُ ذخائرنا اللغوية التراثية، وما يمكن أن يُجِدَّهُ بحث لغوي يَمُتُّ إلى تَليد اللغة ويرنو إلى طريف التجديد في قضايا بالغة الأهمية مثل بناء منظومة صوتية معيارية للنطق الصحيح لحروف العربية، واستكشاف كُنهِ الكنز الدلالي للفصحى، من خلال تعريف الباحثين وأوساط القراء والمهتمين بالمنظومة الدلالية للحقل الدلالي العربي (ليس من خلال وَهْمِ الاكتفاء التعبيري أو اجتزاء بعض عناوين الحقل الدلالي، وإنما

من خلال منحِ القارئِ فرصةَ استكشاف هذا الحقل الدلالي، ــولعمريــ إن ذلك أشبه ما يكون باستكشاف الحقل النفطي) لما يترتب على ذلك من نتائج علمية وأدبية وتعبيرية لا تحصى ولا تعد على التعريف بذخيرة اللغة العربية الدلالية (وهذا ما سعت موسوعة "المستكشف" إلى بلوغ بعض مناحيه بلغة الأرقام وبمنهج التصنيف والترتيب والتبويب).

– ما أكثرَ ما وُصِفَت اللغة العربية أنها لغة اشتقاق ومرونة توليدية لا تضاهى، ولكن العربية تحتاج إلى ألا نقف عند المطارحات النحوية والصرفية التي تناهت إليها عقول علمائنا القدامى، وإنما يجب أن نبني على تلك المطارحات والقواعد والتصورات منظومة جديدة تستمسك بثوابت اللغة، وتضيف إليها من أعمدة التجديد (في الأوزان الصرفية مثلاً يمكن التفكير ملياً في التسعة والسبعين وزناً التي وردت في موسوعة المستكشف بوصفها أوزاناً غير صيغية، فلم لا نحاول أن ندرجها أو نبدع لها أوزاناً صيغية جديدة خاصة أنها قائمة على استقراء واسع للمادة اللغوية).

– تناول اللغويون العرب القدامى التقارب الصوتي، واكتفوا بإيراد نزر من الأمثلة له، وإن كانت بِحارُ نظرياتهم أوسعَ من أَوشَالِ تطبيقاتهم؛ لذا سعت موسوعة "المستكشف" أن تتقفى في بطون المعاجم العربية (القاموس المحيط نموذجاً) هذا التقاربَ الصوتي، لتقدم جزءاً كبيراً من مادته مجدولةً مصنفةً مرتبةً إلى القارئ، ليقوِّم القارئ نفسه هذه الظاهرة، ولتكون مهاداً بحثياً يعود إليه الباحثون والمهتمون ليرتبوا نتائج بحوثهم الصوتية والدلالية

والصرفية على أساس معطيات رقمية محددة، وليس على تخمينات وافتراضات مبنية على اليسير من الأمثلة.

- تخلو المكتبة العربية _حتى كتابة هذا البحث_ من أي معجم تأريخي (نشوئي) يؤرخ تطور دلالات اللغة العربية منذ أقدم عصورها حتى اليوم، على الرغم من عدة مشاريع من مؤسسات وأفراد للوصول إلى هدف تزويد اللغة العربية بهذا المعجم المنتظر؛ ولأن هذا النوع من المشاريع، لا يمكن أن يكون بين عشية وضحاها (إذ اقتضى تأليف المعاجم التأريخية لبعض اللغات الأوروبية عشرات الأعوام مثل معجم أكسفورد التأريخي الإنجليزي، ومعجم روبير الفرنسي، ومعجم اللغة الإيطالية التأريخي... إلخ)، لذا بادرت في موسوعة "المستكشف" إلى ترتيب الأولويات والسعي إلى الممكن (فصنفت زهاء ثلاثة آلاف اصطلاح بشواهدها منذ نزول القرآن الكريم حتى اليوم، جَمَعَتْ من المختلف والمؤتلف من مجمل الثقافة العربية الإسلامية أمشاجاً متتبعاً في ذلك بعضَ المراحل الأساسية في التطور الدلالي للألفاظ المُستَشهَدِ بها، قبل أن يُسلِمَها هذا التتبع إلى مآلها الاستعمالي الراهن، واسماً إياه (بعد أن كان غفلاً من كل وسم) بمياسمِ ذلك التطور الدلالي عبر بعض عصور اللغة العربية المعروفة.

- يرى بعض الباحثين (أحمد عبدالغفور عطار محقق صحاح الجوهري) أَنَّا لا نستعمل من عشرات آلاف المواد اللغوية إلا ما يكاد يقارب العشرة آلاف مادة فقط، لقد شخص جزءاً من الداء (وهو الفقر الاستعمالي للغة

العربية المعاصرة، ولكنه لم يقدم الدواء) واجتهاداً مني وإسهاماً متواضعاً في التغلب على هذه الهوّة السحيقة بين غنى العربية معجماً وفقر الفصحى المعاصرة استعمالاً، اجتهدتُ في تحديد آلاف الثغرات الاستعمالية واصفاً الثغرة ذاتها ومقترحاً الحل اللغوي المناسب لتعويضها.

وبعد فإني لا أدعي أني بلغت ما أريد في سبيل خدمة هذه اللغة التي رَضَعت لِبَانَها وتَفَيَّأتُ أفنانَها منذ غضّ الشباب، ولكني لم آلُ جهداً في مصالحة ضميري حتى لا يُعْنِتَني لوماً بالتقصير في حقها.

مصادر الدراسة ومراجعها

١. الإحصاء التطبيقي الحديث والاحتمال: للدكتور حلمي فضل كتانة، جامعة قطر، قسم الرياضيات.

٢. الإحصاء: للباحث في التربية والعلوم الانسانية، للدكتورين: أحمد سليمان عودة، وخليل يوسف الخليلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

٣. أساس البلاغة: للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الأستاذين: عبدالرحيم محمود، وأمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.

٤. الأصوات اللغوية: للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، ١٩٧١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٥. الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر ، مطبعة السنة المحمدية.

٦. تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة: للدكتور صابر الحباشة، الطبعة الأولى، ٢٠١١، الحامد.

٧. الجاسوس على القاموس: لأحمد فارس الشدياق، المكتبة الكويتية الثقافية، الكويت.

٨. الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، الجزء الثاني، حققه: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر.

٩. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر): للدكتورين: علي حلمي موسى، وعبدالصبور شاهين، مطبوعات جامعة الكويت.

١٠. الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة): لمحمد ابن عبدالمنعم الحميري، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان.

١١. سر صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق لجنة من الأساتذة، الجزء الأول، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٤.

١٢. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين: للدكتور علي حسن مزبان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا.

١٣. علم الدلالة: للدكتور أحمد مختار عمر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، عالم الكتب، القاهرة.

١٤. غريب القرآن: لحبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، نص المحاورة التي دارت بفناء الكعبة بين نافع ابن الأزرق وابن

عباس، ونقلها السيوطي في الاتقان، عرض وتقديم وتحقيق محمد ابراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٥. الغريب المصنف: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، الجزء الأول، حققه وقدَّم له محمد المختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة.

١٦. الفائق في غريب الحديث: للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الجزء الأول، تحقيق على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٧. فقه اللغة في الكتب العربية: للدكتور عبده الراجحي، بدون تاريخ.

١٨. فقه اللغة: للإمام أبي منصور الثعالبي، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ.

١٩. فقه اللغة: للدكتور علي عبدالواحد وافي، الطبعة الثامنة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

٢٠. في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية): للدكتور غالب فاضل المطلبي.

٢١. القاموس المحيط: لمجد الدين الفيروز آبادي، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٢. كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها: لأبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، مكتبة النهضة المصرية.

٢٣. كتاب الأفعال: لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مراجعة: د. محمد مهدي علام، الجزء الأول، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

٢٤. الكتاب كتاب سيبويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الجزء الأول، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار القلم ١٩٦٦.

٢٥. اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية): للدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء/المغرب، منشورات عويدات، بيروت/باريس.

٢٦. اللغة عند الطفل تطورها ومشاكلها: إعداد الدكتورة ليلى أحمد كرم الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٧. مبادئ اللسانيات العامة: تأليف أندريه مارتينيه، ترجمة الدكتور أحمد الحمو، إشراف الدكتورين: عبدالرحمن الحاج وفهد عكام، المطبعة الجديدة، دمشق.

٢٨. مثلثات قُطرب (تحقيق ودراسة ألسُنية): للدكتور رضا السويسي، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس.

٢٩. المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي واللغوي الأندلسي (ابن سيده): تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.

٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الجزء الأول، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٣١. المعاجم اللغوية العربية (بداءتها وتطورها): للدكتور إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٢. المعجم العربي نشأته وتطوره: للدكتور حسين نصار، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، ١٩٦٨.

٣٣. المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، الجزء الأول، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٣٤. مقدمة الصحاح: تأليف أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٥. ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي: للدكتور إدريس ولد عتيه، مجلدات المؤتمر الثاني للغة العربية، تاريخ ٧-١٠ مايو ٢٠١٣ في دبي، كتاب المؤتمر، المجلد الثاني.

٣٦. موسوعة المستكشف: للدكتور إدريس ولد عتيه، نشرتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، عام ٢٠١١، بالرباط – المغرب.

٣٧. نظم الغريب في اللغة: لعيسى بن إبراهيم بن عبدالله الربعي الوحاظي الحميري، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار المأمون للتراث دمشق، بيروت.

٣٨. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للإمام جلال لدين السيوطي، الجزء الأول، تحقيق وشرح أ.عبدالسلام محمد هارون و د. عبدالعال سالم مكرّم، دار البحوث العلمية- الكويت.

عينية ابن سينا
أثرها ومعارضاتها في الشعر العربي

الدكتور عبدالحميد بدران

كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر

مقدمة:

أما بعد فلا شكّ أن حضور النص التراثي في الشعر يعد إضاءة للنص التراثي والنص الحديث في آن معاً، ذلك أن تراث كل أمة يكون أساساً من أسس حياتها، إذ يمثل أغلى ما يمتلكه أبناؤها من اعتزاز بهذا التراث وحمايته بوعي أو بغير وعي، ومن ثم يكون لجوء الشاعر إلى هذا التراث تحت أي صورة لوناً من إثبات ولائه وانتمائه إلى هذا التراث الذي يضمن له أصالة الرؤية وحسن التميز.

على أن لجوء الشاعر إلى معارضة نص تراثي كان يرجع . فيما يرجع إليه . إلى دوافع عدّة ، يأتي الإعجاب على رأسها، سواء أسر ذلك الشاعر أم جهر به، إذ غالباً ما يكون الشاعر في المعارضة مدفوعاً بموسيقى القصيدة أو طرافة فكرتها أو الأمرين معاً، لأن القول باشتراط اجتماع الشكل والموضوع في القصيدة المعارضة يهدر كثيراً من القصائد التي تنطق بمحاكاة القصيدة الأساس دون أن تلتزم الشكل أو ترتبط بالموضوع، ومن دون هذا وذاك تقف الصورة الفنية عاملاً من عوامل التجديد في طبيعة المعارضة، وأهم أداة تسهم في الحفاظ على أصالتها وحيويتها.

وقد كان اختيار عينية ابن سينا راجعاً إلى أسباب عدة منها: براعة ابن سينا في تطويع القضية الفلسفية وإلباسها الصورة الفنية الجيدة، ومنها تحقيق القول في معارضات العينية التي لا تقف عند عفيف الدين التلمساني في القديم وأحمد شوقي وعادل الغضبان في الحديث كما أشار بعض الدارسين، ومنها تحقيق القول في نسبة العينية لابن سينا من خلال المعارضات الشعرية، ومنها الوقوف على جودة المعارضة أو رداءتها فنياً، ومحاولة تناولها بشكل جديد، وتخليص المصطلح من مصطلحات عدة وقف حيالها كثير من الباحثين مذبذبين في نسبتها إلى المعارضة، وتحقيق القول في بعض المبالغات التي تناولت العينية كأمثال الصلاح الصفدي وابن أبي أصيبعة وخليل مطران.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين، أما المبحث الأول ففيه مهدت بالتعريف بابن سينا وشعره، ثم سلطت الضوء على قصيدته العينية من حيث تحقيق النسبة وعدد الأبيات والتحليل الأدبي، ثم تناولت أثر العينية في الشعر العربي، من خلال رصد كل ما وقفت عليه من أثر، سواء أكان قصائد أم مقطعات أم مشطرات أم إشارات إلى قصائد ومخمسات لم تصل إلينا، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه تعريف المعارضة وتحديد أسسها، ثم أفضت في رصد معارضات العينية الصريحة وغير الصريحة، ودراستها دراسة ناقدة، من حيث الموضوع والتصوير والموسيقى.

ومن الجدير بالذكر أن أهم الدراسات التي ألقت الضوء على معارضات العينية دراسة الدكتور عبدالوارث الحداد، التي تأتي في إطار الحديث عن المعارضات الأدبية، حيث تناول عينية كل من الدكتور محمد رجب البيومي، والشاعر عادل الغضبان، وهذه الدراسة تمتاز بنظرتها التحليلية المستفيضة، التي تقف على مواطن القوة والضعف في النص الأدبي، للموازنة بينه وبين

عديد من النصوص التي تشترك معه، كما تأتي دراسة الدكتور عبدالكريم اليافي التي عنوانها (القصيدة العينية في النفس ومعارضاتها)، وهو عنوان يوهم أنه جمع معارضات العينية ولو مجرد جمع على الرغم من تركيزه على سرد عينية عفيف الدين التلمساني وأحمد شوقي وعادل الغضبان ونصوح الطاهر، دون إضافة من أي نوع.

بقي أن أشيد بدور كتب التراجم في جمع أشتات البحث، رغم ما تحملته من عناء البحث فيها، إذ إن لها دوراً لا ينكر في حفظ كثير من الألوان الأدبية التي تبدو مبعثرة هنا وهناك، شاهدة بتميز أصحابها ممن لا يمتلكون دواوين شعرية تجمع كل ما أنتجوا من شعر، وهذه الألوان في حاجة للتنقيب عنها في بطون هذه الكتب للكشف عن مدى صلاحيتها لحمل التجارب الشعرية الجيدة.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ